20 me. année No 985

Le Caire 19-5-1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٧١ — ١٩ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

سأم ..

للأستاذ سيد قطب

ذلك الذى تلمحه على وجوه الناس فى هذه الأيام ، وتلمسه فى أحاديثهم فى كل مكان . .

سأم من كل شئ ، ومن كل فكرة ، ومن كل عمل ، ومن كل أحد ، ومن كل اتجاه . .

سأم هو مزيج من ألم قد مات ! ومن يأس من الأعمال والرجال ، ومن « قرف » شامل ، ومن استهتار

يقلب الناس صفحات الصحف ، ويمرون على العنوانات الضخمة بدون اكتراث ، كأن لم يعد شئ يدعو إلى الاكتراث

هذه الردود الذاهبة إلى لندن ، الآيبة إلى القاهرة وبالعكس ، إنها لا تعنى أحداً . إن كل أحد يحس أنها ليست له ، وليست من شأنه ، وليست بشأنه ، إنها أمور تعنى أصحابها ، تعنى الذين يهمهم « قتل الوقت » هنا أو هناك !

كل أحد فى هذا الشعب يعرف أن هذه الردود الذاهبة إلى لندن ، الآيبة إلى القاهرة وبالعكس ، ليست هى التى تخرج الإنجليز من الوادى . كل أحد يعرف أنه وقت ضائع ذلك الذى يصرف فيها . وأن الانجليز يهمهم دائماً أن يسوفوا انتظار لتحسن الظروف

كل أحد فى هذا الشعب يعرف أن الإنجليز يعرفون ، أن هناك عشرين مليونا من البشر يعيشون خلف القضبان ، وأن الذين يعيشون خلف القضبان لاحق لهم فى الاستقلال !

ولكن أحداً لا يقول شيئاً عن هذه المسألة ، ولا يهم أن يفتح فمه عنها بحديث ، ما فائدة أن يتكلم ؟ ماجدوى أن يقول ؟

سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه

* * *

والأزمة الاقتصادية ، إن بوادرها فى الأفق تلوح . بل إنها لتجتاح الوادى . كل شئ فى الريف يهوى : القطن ، الإيجارات ، المعاملات ، بينما تكاليف المعيشة على حالها ، والغلاء آخذ بالخناق

ولكن أحداً لا يهم أن يصرخ ، ولا يهم أن يستغيث ، ولا يهم أن يشير بعلاج

لقد سئم الناس تكرار الصراخ وتكرار الاستغاثة وتكرار الكتابة حول النقائص والعيوب .. كل كلام ذاهب كصرخة فى واد ، ليس لها من مجيب

لذلك لم يعد أحد يشكو . إنه ما فائدة الشكوى ؟ ما جدوى الألم ؟

سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه

* * *

وحكاية التطهير ، لقد ألقى إليها الشعب سمعه فى أول مرة . ثم سحب اللحاف على رأسه ونام !

إن كل أحد يعرف أن الأمور فيما يختص بالشعب تسير كما كانت دائماً تسير ... مصالح الجماهير فى دواوين الدولة لا يشعر بها أصحاب الدواوين ... مامن حاجة تقضى لأنها يجب أن تقضى ؛ الوظفون فى مكاتبهم لا للعمل ، ولكن للاتفاق على العمل ! حتى المدرسون ، ورثة الأنبياء ، مربو الجيل ، كل جهدهم اليوم للدروس الخصوصية ، ومجانية التعليم أمست سخرية ، بل كارثة على رؤوس الآباء . لقد كانوا يؤدون المصروفات المحدودة فيتعلم أبناؤهم. أما اليوم فلا يتعلم إلا من يؤدى ضريبة الدروس الخصوصية . هنالك عصابات من « الربين » ، عصابات تفرض ضرائب معينة على الآباء ، وإلا فليستمتعوا هم وأبناؤهم بتعليم المجان !

ولكن أحداً فى الشعب لا يتألم ولا يصرخ ، كما أنه لا يحفل بحكاية التطهير . إنه يعرف ما هنالك . فلا داعى إلى الكلام ! سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه .

* * *

ومصر بلد مجنون والحمد لله ! بلد يحاول أن يستنقذ من رمال الصحراء ومن ركام الأملاح أشباراً أو أمتاراً من الأرض كل عام . وتنفق وزارة الأشغال ، ومصلحة الأملاك ، ووزارة الزراعة ما تنفق من جهد ومن مال فى استنقاذ هذه الأشبار والأمتار من فم الصحراء ، وردها إلى الخصوبة والعمار ، ولكن هذا البلد نفسه يطمر مئات الأفدنة كل عام بالرمال والأحجار ، مئات الأفدنة من أخصب بقاع هذا الوادى ، يطمرها تحت الرمال والأحجار كى يحولها إلى مسا كن ! وها أنذا صباح مساء أبصر مئات من الرجال يكدون اليوم بطوله ليفرشوا مساحات من الأراضى الخصبة بين المعادى والبساتين . على خط حلوان . يفرشونها بالرمال ، ويطمرون ما عليها من زرع أخضر حى . يدفنونه بلا شفقة ولا رحمة ، لتتحول هذه الأرض الخصبة إلى مساكن لشركة المعادى !

ومن قبلها حدث مثل هذا فى مدينة الأوقاف ، وفى الدقى وفى طريق الهرم ، لقد أكلت المبانى هذه المساحات الشاسعة ، بينما عشرات الألوف من الأفدنة ، ومئات الملايين من الأمتار المربعة من الأراضى الرملية الجافة الجيلة الصالحة للسكنى بلا ردم ولا هدم تنتظر مشروعاً واحداً يحيلها عماراً ، مشروع كهربة خط حلوان ..

ولكن مصر بلد مجنون والحمد لله . يجاهد جهاد المستميت لينقذ شبراً من عدم الصحراء ، ويجاهد كذلك جهاد المستميت ليهب الصحراء فداناً يطمره بالرمال والأحجار

أم إننى أنا المجنون ؟ لأننى لا أفهم أن فى مصر مصالح ، وأن فى مصر شركات ؟

ثم مالى لا أصمت كما يصمت الشعب فى هذه الأيام ؟ ألا أحس ذلك السأم الذى يرين على الوجوه ؟ ألا أشعر بذلك الهم الجاثم على الصدور ؟

* * *

وفى هذا الوقت بالذات يطلع علينا الأستاذ أحمد العجمى فى الرسالة بهتاف حار : أين الشعر أيها الشعراء ؟

الشعر ! الشعر يا سيدى هتاف حياة ، ودعوة حياة ، وتعبير حياة

الشعر طاقة فائضة تريد لها متنفساً ، وحيوية دافقة تبتغى لها مسيلا

الشعر تعبير أحرار يملكون التعبير ، لا جمجمة عبيد أو أسرى خلف القضبان

الشعر انتفاضة قلب ، وتحليق روح . لا وسوسة السلاسل ولا جرجرة الأغلال

انظر يا سيدى حولك ! أنظر إلى ذلك الذى تلمحه فى الوجوه ، وتراه فى السمات

إنه مزيج من ألم قد مات، ومن يأس من الأعمال والرجال ، ومن «قرف» شامل ، ومن استهتار

إنه السأم . السأم الذى تموت منه الكلمات فى الشفاه !

سيد قطب

في سبيل الإصلاح

من أخـــــلاقنا

للأستاذ علي الطنطاوي

أليس عجيباً أن صار اسم (الوعد الشرقي) علماً على الوعود الكاذبة، واسم (الوعد الغربي) علماً على الوعد الصادق؟

من علم الغربيين هذه الفضائل إلا نحن؟ من أين قبسوا هذه الأنوار التي سطعت بها حضاراتهم؟ ألم يأخذوها منا؟

من هنا أيام الحروب الصليبية، ومن هناك، من الأندلس بعد ذلك، وهل في الدنيا دين إلا هذا الدين (الشرقي) يجعل للعبادات موعداً لا تصح العبادة إلا فيه، وإن أخلفه المتعبد دقيقة واحدة بطلت العبادة؟ إن الصوم شرع لتقوية البدن — وإذاقة الغني مرارة الجوع حتى يشفق على الفقير الجائع — وكل ذلك يتحقق في صوم اثنتي عشرة ساعة، واثنتي عشرة ساعة إلا خمس دقائق، فلماذا يبطل الصوم إن أفطر الصائم قبل الغروب بخمس دقائق؟ أليس لتعليمه الدقة والضبط والوفاء بالوعد؟ ولماذا تبطل الصلاة إن صليت قبل الوقت بخمس دقائق؟

والحج؟ لماذا يبطل الحج إن وصل الحاج إلى عرفات بعد يوم الوقفة، أليس لأن الحاج قد أخلف الوعد؟

أو لم يجعل الإسلام إخلاف الوعد من علامات النفاق، وجعل المخلف ثلث منافق؟ فكيف نرى بعد هذا كله كثيرين من المسلمين لا يكادون يفون بموعد، ولا يبالون بمن يخلف لهم وعداً، أو يتأخر عنه، حتى صار التقيد بالوعد، والتدقيق فيه والحرص عليه، نادرة يتحدث بها الناس، ويعجبون بصاحبها ويعجبون منه ... وحتى صارت وعودنا مائعة مائعة لا تعرف الضبط ولا التحديد

يقول لك الرجل (الوعد صباحاً) صباحاً؟ في أي ساعة من الصباح؟ في السادسة؟ في السابعة؟ في الثامنة؟ إنك مضطر إلى الانتظار هذه الساعات كلها. (الوعد بين الصلاتين)

وبين الصلاتين أكثر من ساعتين. (الوعد بعد العشاء). أهذه مواعيد؟! هذه مهازل وسخريات، لقوم لا عمل لهم، ولا قيمة لأوقاتهم، ولا مبالاة لهم بكراماتهم!

هذه مواعيدنا في ولائمنا، وحفلاتنا، وفي اجتماعاتنا الفردية والعامة

دعيت مرة إلى وليمة عند صديق لي قد حدد لها ساعة معينة هي الساعة الأولى من بعد الظهر، فوصلت مع الوعد فوجدت المدعوين موجودين إلا واحداً له عند صاحب الدار منزلة. وتحدثنا وحلت ساعة الغداء وتوقعنا أن يدعونا المضيف إلى المائدة فلم يفعل، وجعل يشاغلنا بتافه الحديث، ورائحة الطعام من شواء وقلاء وحلواء، تملأ آنافنا، وتصل إلى معدنا الخاوية، فتوقد فيها ناراً، حتى إذا اشتد بي الجوع قلت:

— هل عدلت عن الوليمة؟

فضحك ضحكة باردة وخالها نكتة، فقلت:

— يا أخي جاء في الحديث أن امرأة دخلت النار في هرة.. حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. ونحن جماعة وهي واحدة، وهي قطة ونحن بشر!

فتغافل وتشاغل. ثم صرح فقال: حتى يجيء الشيخ فلان

— قلت: إذا كان الشيخ فلان قد أخلف الوعد، أفنعاقب نحن بإخلافه؟ وهل يكون ذنبنا أنا كنا غير مخلفين؟

* * *

والحفلات مثل الولائم، يكتب في البطاقة أنها تبدأ في الساعة الرابعة، وتبدأ في نصف الخامسة. وأعمالنا كلها على هذا النمط، ركبت مرة الطيارة من مطار ألماظة في مصر فتأخرت من القيام نصف ساعة انتظار راكب موصى به من أجد أصحاب المعالي. ولما نرنا معشر الركاب وضجينا طار بنا، فلم يسر والله ربع ساعة حتى عاد فهبط بنا فارتمنا وفزعنا وحسبنا أن قد جرى شيء، وإذا العودة من أجل الراكب الدلل صديق صاحب المعالي، وقد كان تأخر لأنه لم يحب أن يسافر حتى يدخل الحمام، ويستريح بعد الخروج كيلا يلفحه (اسم الله عليه) الهواء البارد. وكنت عائداً من رحلة رسمية فلما وصلت إلى مطار المزة وجدت أكثر

من مئتى إنسان بينهم مندوب وزير العدل ، ينتظرون فى الشمس منذ ساعة كاملة

والسيارات مثل الطيارات، والدكاكين والدواوين، والمقاهى والملاهى ، كل ذلك يقوم على تبديل المواعيد وإخلافها ، حتى لم يبق لشئ موعد معروف . فيا أيها القراء خبرونى سألتكم بالله ، أى طبقة من الناس تفى بالوعد ، وتحرص عليه وتصدق فيه ، وتدقق فى إنجازه ؟ الموظفون ؟ المشايخ ؟ الأطباء ؟ المحامون ؟ الخياطون والحذاؤون؟ سائقو السيارات؟ من؟ من يا أيها القراء ؟

يكون لك عند الموظف حاجة لا يحتمل قضاؤها خمس دقائق، فتجيئه وهو يشرب القهوة ، أو يقرأ الجريدة ، أو يشغل نفسه بما لا طائل تحته ، فيصعد فيك بصره ويصوبه ، ويقومك بعينه، فإن أنت لم تملأها ، ولم تدفعه إلى مساعدتك رغبة فيك ، أو رهبة منك ، قال لك : ارجع غدا . فترجع غدا ، فيرجئك إلى ما بعد غد ... لا أعنى موظفا بعينه ، ولا عمدا بذاته ، بل أصف داء قديما سرى فينا واستشرى ، ودخل وتغلغل ..

ويكون لك موعد مع الشيخ ، فيجيئك بعد نصف ساعة ، ويعتذر لك ، فيكون لاعتذاره متن وشرح وحاشية ، فيضيع عليك فى محاضرة الاعتذار نصف ساعة أخرى. وإن دعوته الساعة الثانية جاء فى الثالثة . وإن كان مدرسا لم يأت درسه إلا متأخرا

والطبيب يعلن أن العيادة فى الساعة الثامنة ولا يخرج من داره إلى العاشرة ، وتجيئه فى الوعد فتجده قد وعد خمسة من المرضى مثل موعدك ، واختلى بضيف يحدثه حديث السياسة والجو والكلام الفارغ ، وتركهم على مثل الجمر ، أو على رؤوس الإبر ، ينتظرون فرج الله ، حتى يملوا فيلعنوا الساعة التى وقفوا فيها على باب الطبيب ، ويذهبون يفضلون آلام المرض على آلام الانتظار ، ويؤثرون الموت العاجل المفاجئ على هذا الموت البطئ المضنى

أما الخياطون والحطاطون ، والحذاؤون والبناؤون ، وأرباب السيارات ، وعامة أصحاب الصناعات ، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنهم من أكذب خلق الله ، وأخلفهم لوعد . الكذب لهم دين ، والخلف عادة ، ولطالما لقيت منهم ، ولقوا منى ، وما خطت قميصا ولا حلة ، ولا صنعت حذاء ، ولا سافرت فى سيارة عامة سفرة ، ولا بعثت ثوبا إلى مصبغة لكيه أو غسله أو تنظيفه ، إلا كووا أعصابى بفعلهم ، وشووبهم بلسانى ، وإن كان أكثرهم لا يبالى ولو هجاه الحطيئة أو جرير أو دعبل الخزاعى ، بل إنهم ليفخرون بهذه البراعة فى إخلاف المواعيد، والتلاعب بالناس، ويعدونها مهارة وحذقا

فتى يجئ اليوم الذى نتكلم فيه كلام الشرف ، ونعد وعد الصدق ، وتقوم حياتنا فيه على التواصى بالحق لا يعد فيه المرشح وعدا إلا وفى به بعد أن يبلغ مقاعد البرلمان ، ولا يقول الموظف لصاحب الحاجة إنى سأقضيها لك إلا إذا كان عازما على قضائها ، ولا يعد الصانع بإنجاز العمل إلا إذا كان قادرا على إنجازه ، والموظفون يأتون من أول وقت الدوام ويذهبون من آخره، والأطباء لا يفارقون المكان ساعات العيادة ، والخياط لا يتعهد بخياطة عشرة أثواب إن كان لا يستطيع أن يخيط إلا ستا ، وتمحى من قاموسنا هذه الأكاذيب . تقول لأجير الحلاق : أين معلمك ؟ فيقول ، إنه هنا سيحضر بعد دقيقة ، ويكون نائما فى الدار لا يحضر إلا بعد ساعتين

ويقول لك الموظف، من فضلك لحظة واحدة . فتصير لحظته ساعة

ومتى تقوم حياتنا على ضبط المواعيد وتحديدها تحديدا صادقا دقيقا ، فلا يتأخر موعد افتتاح المدارس من يوم إلى يوم ويتكرر ذلك كل سنة، ولا يرجأ موعد اجتماع الدول العربية فى الجامعة من شهر إلى شهر، ولا نعاد فى تاريخنا مأساة فلسطين التى لم يكن سببها إلا إهمال ضبط المواعيد وإخلافها . ولو أنا حددنا بالضبط موعد القتال ، وموعد الهدنة ، وجئنا (أعنى الدول العربية) على موعد واتفاق ، لكان لنا فى تاريخ فلسطين صفحة غير التى سيقرؤها الناس غدا عنا

إن إخلاف الوعد الصغير ، هو الذى جر إلى إخلاف هذا الوعد الكبير . فلنأخذ مما كان درسا ؛ فإن المصيبة إذا أفادت كانت نعمة . ومتى صلحت أخلاقنا ، وعاد لجوهرنا العربى صفاؤه وطهره ، وغسلت عنه الأدران ، استعدنا فلسطين ، وأعدنا ملك الجدود

فابدؤوا بإصلاح الأخلاق ، فإنها أول الطريق

علي الطنطاوي

٤ - حسن البنا

الرجل القرآني

بقلم روبير جاكسون

للأستاذ أنور الجندي

... أعتقد أن حسن البنا كان أهلا لهكان المرموق ، والزعامة الحقة التي وصل إليها .. فقد كان تركيبه الجسدي والفسيولوجي ، وأخلاقه وشمائله ، وعواطفه وأشواقه .. وذكاؤه وعبقريته ، ودهاؤه وحيلته ، وقدرته على مواجهة الظروف والأحداث

كان الرجل يفهم دعوته التي يدعو إليها على أوسع نطاق، وكان يؤمن بها أصدق إيمان ، وكان يراها وسيلة إلى تحقيق وحدة الشرق ، وتحريره ، وخلق جيل جديد ، يكسر قيود الاستعمار ويحرر الأوطان ، وينفذ في الأرض شريعة الحق ...

كان الرجل علما على دعوته .. ذلك أنه ليس من اليسير أن ندرس فكرة منفصلة عن قائدها ، بل إننا لا نعتقد أن هناك رسالة يمكن أن تنفصل عن الداعي إليها ، أو تقوم بعده على الوجه الذي رسمه لها ...

فهي جزء منه وهو جزء منها ، أو هما شقان لحقيقة الخالدة القائمة التي تنتظم نفوس التابعين له ، أو المنضوين تحت لوائه ...

وليس شك أن الزعماء والقادة هم أوعية المبادئ والبرامج والمذاهب .. هذه المبادئ التي ليست إلا كلمات منثورة في بطون الكتب ، ليست العبرة بنصوصها بقدر ما تكون العبرة بالقائمين عليها وتنفيذها

وعلى قدر إخلاص الداعية لمبادئه، وتطبيقها على نفسه، وعلى قدر صلابة عزيمته في تنفيذها وتطبيقها يتوقف نجاحهم

أنا أومن بأن مبادئ الإخوان مرتبطة إلى حد كبير بذلك الرائد الأول الذي رسم خطوطها ، وأقام بناءها حجراً حجراً .. فإذا ما قضى فأنا لا أستطيع أن أحكم على مدى اتجاه هذه المبادئ إلا بعد وقت طويل ..

لم يكن الرجل القرآني ، فيما علمت ، يسعى إلى فتنة ، أو يؤمن بالطفرة .. ولكنه كان يريد أن يقيم مجتمعا صالحاً قويا حرا ، وينشئ جيلا فيه كل خصائص الأصالة الشرقية ..

لقد ظهرت حركات إصلاحية كثيرة خلال هذا القرن .. في الهند ومصر والسودان وشمال أفريقيا . وقد أحدثت هزات لا بأس بها ولكنها لم تنتج آثاراً إيجابية ثابتة

وقد جاء هذا نتيجة لعجز بعض المصلحين عن ضبط أعصابهم عن مواجهة الأحداث واندفاعهم إلى الحد الذي وصل بهم إلى مرتبة الجرح قبل أن يتم البناء ، كما جاء أثراً من آثار عزوفهم عن الاتصال بالشعب وتكوين رأى عام مثقف

اختفت هذه الدعوات ، وبقيت عبارات على الألسن ، وكلمات في بطون الكتب ، حتى قيض لها أن تبعث من جديد ، وأن تستوفي شرائطها ومعالمها .. وأن تأخذ فترة الحضانة الكافية لنضوجها ، وأفاد الرجل من تجارب من سبقوه ، ومن تاريخ القادة والمفكرين والزعماء .. الذين حملوا لواء دعوة الإسلام ، ولم يقنع بأن يكون مثلهم .. ولكنه ذهب إلى آخر الشوط ، فأراد أن يستمد من عمر وخالد وأبي بكر . فأخذ من أبي بكر السماحة، ومن عمر التقشف .. ومن خالد عبقرية التنظيم

وربط خصومه بينه وبين الأحداث العالمية ، فاتهم في حادث اليمن ، ونسب إليه شئ من جهاد إندونيسيا . وكان له أثره في حوادث فلسطين

وكان له موقف إزاء معاهدة صدقي بيفن ، وموقف عندما اتجهت مصر إلى مجلس الأمن ..

* * *

كان حسن البنا لا ينام إلا بضع ساعات .. ثم ينفق وقته كله ساعة ساعة ، ولحظة لحظة .. في العمل المتصل ، وكان عقله مثلا دائما للإعداد والابتكار والإنشاء .. الذي لا يقف ولا ينقطع ، فهو إذا أصبح الصباح يكون قد أعد قائمة بالأفراد

الذين يهمه الاتصال بهم .. ويحضر إلى مكاتب العمل قبل الموظفين .. ويظل يتنقل بين المركز والجريدة .. والشباب والمنزل ، وفى كل مرحلة يؤدى عملا والتليفون يلاحقه .. وفى خلال ذلك يتحدث مع الناس ، ويستمع إليهم ، ويخطب ، ويقرأ الصحف ، وتعرض عليه عشرات الأوراق التى تتطلب رأيه ، والخطابات التى ترد من أنصاره العديدين ، فى مختلف أنحاء العالم ، وهى غالبا ما تكون مشفوعة بشيكات أو حوالات مالية ..

.. لقد رأيته وهو يقرأ خطابا من شاب من أتباعه ، قد أرفق به نصف راتبه الشهرى . . . وفجأة ، تساقطت دموعه على الخطاب فبللته .. ورأيته وهو يودع بعض أنصاره المسافرين إلى خارج مصر ، وهو يرسل نظراته الحادة فى وجوههم المشرقة المتحفزة ..

وكان هذا العمل المجهد يزيده قوة .. ، وكان لقاء أتباعه الذين يردون من مختلف أنحاء القطر يملأ نفسه بالرضا ، ويزيد عزمته مضاء .. كان كل منهم ، يحمل له أنباء جديدة ، سارة ، عن اتساع نطاق الدعوة وانضواء الشباب ..

وكان يوم الثلاثاء .. يوما مشهوداً يتجمع فيه بضع مئات من أنحاء القاهرة ، ليستمعوا إلى هذا الرجل الذى يصعد المنصة فى جلبابه الأبيض وعباءته البيضاء وعمامته الجميلة فيجيل النظر فى الحاضرين لحظة .. بينما تنطلق الحناجر بالهتاف ..

.. ولا تدهشك خطابته بقدر ما يدهشك إجابته على القصاصات .. كان بعض هذه يتصل بشخصيته وحياته وأسرته

وقد سئل مرة بعد أن ترك عمله فى الحكومة ورفض مرتب الجريدة الضخم الذى كان يبلغ مائة جنيه : مم يأكل .. فقال فى بساطة : كان محمد يأكل من مال خديجة وأنا آكل من مال « أخ » خديجة . يقصد صهره ..

وكان أعجب مافى الرجل صبره على الرحلات فى الصعيد .. هذه الرحلات التى لا تبدأ إلا فى فصل الصيف حيث تكون بلاد الوجه القبلى فى حالة غليان .. وفى أحشائها يتنقل الرجل بالقطار والسيارة والدابة وفى القوارب وعلى الأقدام

وهناك تراه ، غاية فى القوة واعتدال المزاج . . لا الشمس اللافحة ، ولا متاعب الرحلة .. تؤثر فيه ولا هو يضيق بها .. تراه منطلقا كالسهم ، منصوب القامة ، يتحدث إلى من حوله ، ويستمع، ويفصل فى الأمور .

وقدأمدته هذه الرحلات، فى خمسة عشر عاما، زار خلالها أكثر من ألفى قرية وزار كل قرية بضعة مرات ، بفيض غزير من العلم والفهم للتاريخ القريب والبعيد ، وللأسر والعائلات والبيوتات وأحداثها وأمجادها وما ارتفع منها وما انخفض ... وألوانها السياسية وأثرها فى قراها وبلادها ورضى الناس عنها أو بغضهم لها .. وما بين البلاد أفراداً وأحزابا وهيئات وطوائف من خلافات أو حزازات ...

كان يزور أحيانا بلداً من البلاد بلغت فيها الخصومة بين عائلتين مبلغها، وكل عائلة تود أن تستأثر به لتنتصر على الأخرى، فيقصد إلى المسجد مباشرة ، أو يغير طريق سفره فلا يستقبله أحد إلا بعد أن يكون قد قصد إلى دار عامل فقير فى البلدة

... وكنت إذا قلت له فلان ..الحسينى مثلا أوالحديدى أو الحصانى قال لك ... إن هذا الاسم تحمله خمس أسر أو أربعة .. إحداها فى القاهرة والثانية فى دمنهور والثالثة فى الزقازيق .. والرابعة فى ... فأيها تقصد ؟

وكانت هذه الزيارات المتوالية طوال هذه السنوات المتتالية ، قد كونت له رأيا فى الناس .. فقل أن تكون قرية فى مصر لا يعرف الرجل شبابها وأعيانها ووزراءها ورجال الأحزاب والدين والمتصوفة فيها .. ولا يكون قد تحدث إليهم واستمع منهم .. وعرف آمالهم ورغباتهم ، ومن هذه الأحاديث الواسعة المستفيضة كان الرجل يعكنه « الضمير » الشعبي المصرى على صورة قل أن أتيحت لزعيم أو داعية من قبل ، فإذا أضفت إلى هذا قراءاته الواسعة واطلاعه الضخم ، والتهامه لكل ما كتب فى العربية عن الشرق والغرب ، ونظريات العلماء والفلاسفة ، عجبت لهذه القوة الكبرى التى فقدها الشرق .. يوم غيب الثرى هذا الرجل. ولدهشت كيف يمكن أن يملأ هذا الفراغ . أويسدهذا

الشرق الثائر

للاستاذ أبي الحسن على الحسنى الندوى

إن ما يرجع إليه الفضل فى أهم الأحداث التى غيرت مجرى الأمور وفكت السلاسل وحطمت الأغلال وردت الأمر إلى نصابه والحق إلى أصحابه «غضبة» غضبها حق مهضوم، أو شعب مظلوم، أو حر يستعبد، أو دين يضطهد، أو كرامة تهدد، أو كريم يتحدى

إن الغضب — مهما قال فيه علماء الأخلاق وكيفما حلله المؤلفون فى علم النفس — من علامات الحياة وسمات الرجولة، إذا حرمه فرد كان بالجماد أشبه منه بإنسان حى . وإذا تجردت منه أمة كانت قطيعاً من غنم أو لحماً على وضم، لا تستحق الحياة فضلا عن الاستقلال، ولا تستحق الاحترام فضلا عن الإكبار والإجلال

إن الغضب هو حمة الفرد والجماعة التى يحميان بها نفسهما ويصونان بها حياتهما، وإن الله لم يحرم مخلوقاً من سياج يحوطه ومن حامية تذب عنه، ولما منح الورد طبيعة الحرير، رزق الأشواك التى حوله طبيعة الحديد .. ولابقاء لحرير إذا لم يكن دونه شديد أو حوله حديد

إن الغضب قوة كامنة فى النفس قد لا يعلمها صاحبها، فإذا أثيرت هذه القوة وانطلقت أتت بالمعجزات، وأظهرت الآيات البينات، وقربت البعيد، وأذابت الحديد، وأحالت اليأس رجاءاً والممتنع ممكناً، وطوت المسافات البعيدة فى لمح البصر أو أقرب

إن للغضب فى تاريخ الإنسان العام وفى تاريخ الإسلام أياماً مشهورة، وفضائل مأثورة، ومواقف مشكورة، وإن أروع هذه الأيام وأخرها يوم غضبت الأمة وثارت الجماعة، وما أمثلة هذه الغضبات فى تاريخ هذه الأمة بنادرة

إن أشد ما نكب به هذا الشرق الإسلامى وإن أكبر ما جنى عليه فى العهد الأخير أنه فقد طبيعة الغضب والتزم الحلم والأناة والرحمة والعفو والتنزل عن الحق فى كل وقت ومع كل أحد، مع أنه لا حلم مع الضعف ولا رحمة مع العجز ولا عفو مع الإرهاق ولا تنزل مع القهر، إنما هى كلها أخلاق اضطرارية لا قيمة لها ولا فضل، وليس مصدرها إلا برودة الدم وموت الرجولة وانحطاط الإنسانية .. وقديماً وصف الشاعر العربي قبيلة أسرفت فى السماحة والعفو

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحساناً
كأن ربك لم يخلق لخشيته
سواهمو من جميع الناس إنساناً

لقد هجم الغرب على الشرق بدون داع ولا مبرر، لا دين ينشره ولا رسالة يبلغها ولا فضيلة يحميها ولا عقيدة يدعو إليها .

النقص، وفى خلال هذه الزيارات .. كنت ترى الرجل بسيطاً غاية البساطة، ينام فى الأكواخ أحياناً، ويجلس على «المصاطب» ويأكل ما يقدم له .. لا يحرص إلا على شئ واحد، هو ألا يفهم الناس عنه أنه شيخ طريقة .. أو من الطامعين فى النفعة العاجلة . ولقد حدثنى أنه كان يدخل بلداً من البلاد أحياناً لا يعرف فيه أحداً فيقصد إلى المسجد، فيصلى مع الناس، ثم يتحدث بعد الصلاة عن الإسلام .. وأحياناً ينصرف الناس عنه فينام على حصير المسجد وقد وضع حقيبته تحت رأسه .. والتف بعباءته

ولا شك أن هذا الجهد الضخم، قد أتاح له أن يلتقى بعشرات الآلاف من الناس .. خصوماً وأنصاراً، شيوخاً وشباناً، مثقفين وعوام .. وأنه قد استمع إليهم وقال لهم .. وأفاد منهم خبرة ضخمة واسعة، أضافها إلى علمه وثقافته

وإنى على ثقة من أن حسن البنا رجل لا ضريب له فى هذا العصر، وأنه قد مر فى تاريخ مصر، مرور الطيف العابر .. الذى لا يتكرر .. ولقد طالما كان يردد كلمته المشهورة «(١) الناس كابل مائة لا تجد فيها الراحلة ... »

للبحث صلة أنور الجندى

(١) هذا حديث نبوي وليس من كلام الشهيد الإمام

إنما هو الجشع الأرضى والشره الاقتصادى والاستغلال التجارى والاحتلال السياسى وبالإجمال طبيعة قابيل القديمة ، هجم عليها بدافع الطمع والحرص فغزا عقوله ونفوسه وأسواقه وبيوته واتخذه ناقة ركوبا حلوبا يحلب ضرعها ويجز صوفها ويقتر عليها فى مائها وعلفها ، ويقسو عليها فى استخدامها ، واستأثر بموارد هذا الشرق ، وخيراته وأصبح فى بلاده الغنية التى تدر لبنا وعسلا كالأسفنج يمص الماء هنا ويصبه هناك ، استأثر بمعادنه ومناجمه وبالذهب الأصفر والأسود ، وأملى على شعوبه معاهدات وإيجارات جار فيها وغش وطفف الكيل وأخسر الميزان.. وضحك عليه كما يضحك على الأطفال وأقام عليه الحجر والوصاية كما تقام على السفهاء

هجم عليه الغرب فاتخذه سوقا مفتوحة لبضائعه وزبونا دائما لسلعه وعمالا مخلصين لمصانعه ووقودا حاضرا لحروبه يسخر لأغراضه كيف شاء ، ويسوقه إلى ميدان الحرب متى شاء ويجعله وقاية وجنة دون رجاله وبلاده ، ويعيش فى بلاده بفضل هذه الخيرات والأيدى العاملة والجيوش الحامية عيش الأحرار والملوك ، ويدل بمستعمراته وأسواقه وعبيده فى الشرق على جيرانه ومنافسيه فى الغرب

وكان أكبر مجرم تولى كبر هذا الاستعمار الغاشم ، وتفرد بالقسط الأكبر فى هدر الحريات والكرامات واستعباد الشعوب والأمم ونشر القلق والاضطراب فى العالم، وكان أكبر عامل من عوامل الفساد الخلق والأثرة الاجتماعية واختلال النظم الاقتصادية وأكبر معاداة للاسلام وكيدا لأهله هى بريطانيا « العظمى » التى سبقت جاراتها وشقيقاتها إلى غزو الشرق واحتلال أقطاره واستعباد شعوبه

وكانت أكثر هذه الأقطار الشرقية التى احتلتها بريطانيا إسلامية بالطبع ، فكانت الهند التى لا تزال بلدا إسلاميا تحكمها — ولو بضعف كبير — أسرة مغولية ، وكانت مصر التى تحكمها الأسرة العلوية وسواحل الجزيرة العربية الخاضعة للامبراطورية العثمانية ، هى التى تكون الإمبراطورية البريطانية الجديدة ، إذن فكانت بريطانيا هى المعتدية الغاصبة الظالمة . وكان الشرق الإسلامى هو المعتدى عليه

ثم كانت بريطانيا هى التى ولدت المشاكل للشعوب الإسلامية وخلقت لها أزمات طريفة ، فهى صاحبة الوحى وصاحبة الفكرة فى دولة إسرائيل الجاثمة على صدر العالم العربى . وهى التى أبرزتها من العدم إلى الوجود ، ومن التمنيات إلى عالم الواقع ، وهى المسئولة من جلاء العرب وضياع فلسطين العربية وشقاء أهلها والخطر الذى يهدد الحكومات العربية كلها

ثم فاقت بريطانيا الحكومات المستعمرة كلها فى النفاق والتزوير وأخلاق الثعالب والمكر والدهاء ونكران الجميل ونسيان الوعود ، ونقض العهود ، قد أثبت تاريخها أنه لا أيمان لها.. وأنها لا ترقب فى مؤمن إلا ولا ذمة

إن فى تاريخ بريطانيا السياسى صفحات سوداء ، لعلها لا توجد فى تاريخ دولة مستعمرة أخرى ، مع أن الاستعمار كله صحيفة سوداء.. فإذا اقتصرنا على تاريخ الاستعمار البريطانى فى الهند وجدنا فظائع لا تزال وصمة عار فى وجه الحكم الإنجليزى.. ففى ١٣ من ابريل عام ١٩١٩ م انعقدت — أيام حركة الاستقلال الوطنية فى الهند — حفلة شعبية عظيمة فى « جليان والاباغ » فى مدينة أمرتسر حضرها عشرون ألفا من الجماهير ، وكانت الحديقة التى احتفل الناس فيها محاطة بالأسوار من جوانبها الأربعة ، وليس لها إلا منفذ واحد تخرج منه عربة واحدة ، وحضر الجزار الإنجليزى المعروف بالجنرال « داير » ومعه مائة وخمسون « ١٥٠ » جنديا ، فأمر المحتفلين بالانفضاض وبعد دقيقتين — كما جاء فى تقريره — أمر بإطلاق النار على هذا الجمع الحاشد الوديع ، وأطلقت عليه ألف وستمائة طلقة « ١٦٠٠ » مات منها — كما جاء فى التقرير الرسمى — أربعمائة رجل مع أنه غير معقول ومخالف للبداهة أن يموت أربعمائة فقط بطلقات نارية يبلغ عددها إلى ألف وستمائة طلقة فى مكان ضيق محصور على هذا الجمع الحاشد . أما عدد الجرحى فيتراوح كما قالت المصادر الرسمية بين ألف وألفين ، وبات القتلى والجرحى طول الليل من غير ماء وإسعاف طبى

وفى سنة ١٩٤٣ م كانت مجاعة بنغال الكبرى التى خلقتها الحكومة الانجليزية فى الهند وفرضتها على أهل بنغال فرضا لمصالحها الاستعمارية والسياسية كما تحقق علميا وتاريخيا ، وبقدر

أن الذين هلكوا فيها يبلغ عددهم إلى خمسة ملايين

وفى سنة ١٩٤٧ م وقعت الاضطرابات الطائفية الهائلة التى هيأتها ومهدت لها الحكومة الإنجليزية وتغافل عنها وارتضاها ممثلها الرسمى اللورد « مونت بيتن » المجرم حاكم الهند العام حينئذ ، وكان أكثر من نصف مليون نسمة فريسة هذه المجزرة الإنسانية

إن طبيعة الأشياء وغريزة الإنسان وشريعة العدل كل ذلك كان يحكم بل يفرض أن يغضب الشرق — وبالأخص الشرق الإسلامى — ويثور وينتهز كل فرصة للانتقام من بريطانيا وتصفية الحساب معها

ظل الشرق الاسلامى خاضعاً — ولا أقول راضياً — لهذه الأوضاع التى تثير غضب الحليم لا يحرك ساكنا ولا يبدى سخطا بل يتحيز بين حين وآخر إلى المعسكر المجرم الذى يسميه الحلفاء كذباً ومينا بالمعسكر الديمقراطى ويحارب بجانبه ويستميت فى سبيل شرفه وكرامته ويصدقه فى عهوده ويحترم معاهداته ، فاسترسلت بريطانيا — وأخواتها على أثرها — فى سياستها الجائرة وأمعنت فى غلوائها فأضر ذلك بالسياسة الأوربية كلها لأنها أصبحت كالفيل الهائج ، وفقدت السياسة الدولية الاتزان والتفكير، وأغرى سكوت الشرق وهدوءه الزائد واحتماله المسرف المستعمرين بالاستمرار فى سياستهم الغاشمة والانتصار للمدرسة السياسية الغربية القديمة التى تفكر التفكير الاستعمارى وتحلم بالإمبراطوريات والمستعمرات

فكان لابد أن يغضب الشرق غضبة ترد المستعمرين إلى صوابهم ورشدهم وترد إلى السياسة العالمية اتزانها وتعادلها وترد إلى شعوب الشرق شرفها وكرامتها وترد إلى العالم الأمن والسلام

وما كان يدرى أحد أن إيران ستكون السابقة إلى هذه الثورة العادلة والغضبة الموفقة ، وستنتصر هذا الانتصار الباهر، وستهاجم الغرب المتغطرس هذه المهاجمة الفاجئة القوية وتصفع بريطانيا الكرعة هذه الصفعة المؤلمة المخجلة التى يحمر لها وجهها وينتكس لها رأسها ، إنها لصفعة موجعة حقا ، مخجلة حقا ، تألم لها كل إنجليزى فى كل ناحية من نواحى العالم بل تأثرت بها أرواح وبناة الإمبراطورية البريطانية ومؤسسو مجدها فى السابق، وسيلتصق عارها بكل مولود يولد فى بريطانيا إلى عهد بعيد

لقد سر كل شرق وكل مسلم بهذه الغضبة الفارسية ، وكان يتمنى أن يغضب العالم العربى ويثور ويقوم قيام الثائر الموتور لأنه أحق بالغضب وأولى بالثورة من كل بلد وقطر ، لأن بريطانيا « الصديقة للعرب » قد طوقته من كل جانب وتملكت جميع منافذه .. فهذا عدن العربى لا يزال مرفأ بريطانيا وقلعة بريطانيا الحصينة، والعقبة ومعان مما تحرص بريطانيا على الاحتفاظ بهما واحتلالهما ،ولا تزال إمارات الخليج العربية خاضعة للنفوذ البريطانى ،ولا يزال العراق مرتبطا بالمجلة البريطانية ،ولا تزال فلسطين العربية تشكو بثها وحزنها وتئن من جراحاتها وآلامها، ولا تزال دولة إسرائيل برهانا ساطعا على صداقة بريطانيا للعرب ووفائها لهم، ولا تزال مصر محتلة بالجيوش البريطانية ولا يزال السودان المصرى يرزح تحت أثقال الحكم البريطانى

إذن فكانت غضبة العالم العربى — لو غضب — من أعدل ما شهد التاريخ من الغضبات ، وكانت ثورته — لو ثار — من أشرف ما دون فى الكتب من الثورات

وكان لا بد من أن يغضب بلد عربى يتزعم العالم العربى ويقوده فكريا وثقافيا وسياسيا ويتمتع بمركز محترم ومكانة مرموقة ونفوذ ملحوظ حتى يسرى هذا الغضب فى جميع أقطار العالم العربى ويتردد صداه فى جميع الشعوب العربية ويكون كما قال جرير الشاعر العربى

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

هنا لك طلعت مصر وغضبت غضبة جاءت على قدر وأرضت جميع المنصفين فى العالم ، أما العرب فقد أنشدوا بلسان واحد

هذا الذى كانت الأيام تنتظر فليوف لله أقوام بما نذروا

حياك الله يا مصر العزيزة وبارك جهادك وقوى أبطالك وثبت مجاهديك . إن غضبتك سترضى أجيالك القادمة وتشرفها وستسجل لك فتحا عظيما فى الشرق ، فانظرى فى المستقبل

وما يخطه لك القلم المؤرخ من سطور الثناء والإجلال، ولا تنظرى فى العقبات التى تعترضك فإنها زائلة وذائبة ، وانظرى إلى الثمار التى سيجنيها العالم العربى بالأخص والعالم الإسلامى بالأعم من جهادك فإنه يبث فى العالم العربى الروح والحيـاة — وما أحوجه اليوم إلى الروح والحياة — ويحرك فيه الحمية والأنفة ، ويوقظ فيه الشعور ويوجد فيه الوعى السياسى ، وصدق يا مصر أن العـالم العربى قد بلغ من الجمود مبلغـا لا تهزه فيه إلا ثورة جبارة مثل ما تقومين به اليوم ، فليست ثورتك هى ثورة مصر المحلية إنما هى نفخة صور للعالم العربى وفاتحة عهد جديد إن شاء الله فى تاريخ العرب السياسى — احتسبى جهادك يا مصر وقدسيه بنفسك فإنه جهـاد يعلى كلمة الله ويشرف الإسـلام والمسلمين ويرفع رأسهم عاليا أينما كانوا ، وإنه جهاد يغيظ أعداء الإسلام ويحيى أبناءك المرابطين وأبطالك المجاهدين « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيـلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين »

إعلمى يا مصر العزيزة أن القوة الوحيدة التى يخضع لهـا الغرب هى إرادة الشعب القوية والعزم الصادق الثابت والجبهة الموحدة ؛ فاحرصى على قوة إرادتك حكومة وعلى وثبات العزم وتوحيد الصفوف وآمنى بأن شعبا قد صدقت عزيمته وقويت إرادته وتوحدت صفوفه لا يمكن أن يجبر على ما لا يرضاه ويفرض عليه ما يأباه؛ فقوتك فى الداخل لا فى الخارج. قوتك فى أبنائك ونفوسهم وعزمهم؛ فإذا أبوا إلا جلاء الجيوش الإنجليزية من منطقة القنال ، ووحدة وادى النيل ، فليست فى العالم قوة تقف فى سبيل هذا العزم، وإذا ألغوا معاهدة سنة ١٩٣٦ م فى نفوسهم واستنكفت من استمرارها حتى فضلوا الموت على عودتها فاعلمى يقينا أنها قد ألغيت وليس لأمة فى العالم أن تعيدها

إعلمى يا مصر أن السياسة متقلبة بطبيعتها وأن الدين ثابت بطبيعته، وأن المصلحة متحركة بطبيعتها، فاستندى فى جهادك إلى الإيمان والعقيدة أكثر مما تستندين فيه إلى السياسة والمصلحة ، وأيقظى الروح الدينية وروح الجهاد فى سبيل الله واطلقى عليها وعلى رجالها فإنها أمضى سلاحك وأقوى جنودك

وأنت أيها العالم العربى فقم بواجبك وانتهز فرصة غضب مصر وثورتها واعلم أنها من الفرص السانحة التى لا تدوم ولا تعود ، فاغضب غضبة واحدة وقم قومة رجل واحد ، اغضب لنفسك إن لم تغضب لمصر — وهل هى إلا جزء من أجزائك وابن كريم من أبنائك، وانصح لنفسك إن لم تنصح لغيرك، فكرامتك اليوم منوطة بمصر فلا كرامة لك إن هدرت كرامة مصر . فاحرص على كرامة مصر حرصك على كرامتك وجاهد فى سبيلها جهادك فى سبيلك.. أستغفر الله بل جهادك فى سبيل الله وفى سبيل الدين وفى سبيل الحق والعدل

إنك مسئول أيهـــا العالم العربى ومعاتب وملوم على كل تقصير فى جنب هذا الجهاد المقدس، وإنه محسوب عليك كما هو محسوب على مصر

إن العدو ماكر داهية وقد جرب منك سقطات وزلات فى السابق ، وإنه واثق بولائك ووفائك فلا يخدعنك عن نفسك وعقيدتك ، ولا يحولن بينك وبين مصر ، ولا يشترين دولة من دولك أو شعبا من شعوبك بأرفع ثمن فإنه نار فى الآخرة وعار فى التـاريخ — ولا أنسى أن أخاطبك يا مستر « جون بول » فأنت صاحبنا القديم عرفناك فى الهند وعرفتنا ،وأعتذر إليك إن كنت آلمتك بذكر الهند التى فقدتهـا ، أريد أن أسألك أيهـا الشيخ السياسى المحنك عن هذا الدفاع الذى تفرضه على الشرق الأدنى فرضا وترهق به مصر الإرهاق الذى ضاقت به وغضبت عليه ، هل يصح أن يسمى دفاعا؟ وأى فرق بينه وبين الاحتلال؟ وهل يجدى هذا الدفاع إذا لم ينشط له هذا الشعب الذى تدعى أنك تدافع عنه ولم يتحمس ولم يعاونك عليه ؟ وكيف بك لو احتلت جنود أمريكا الحليفة الصديقة الزميلة بلادك على رغم منك ورغم من المستر تشرشل بحجة الدفاع عنك لأنك ضعيف قد أنهكتك الحرب الماضية هل تقر هذا الاحتـلال وتسكت عنه يا مستر جون بول ؟

إنى لا أجد لك يا « جون بول » ولمصر مثلا إلا مثل زنجى

وطفل .. فقد زعموا أن زنجيا كان يحمل طفلا وكان الليل شديد الظلام ولم يكن الزنجي أقل سوادا من الليل وكان الطفل كلما رأى الزنجي ارتعب وفزع ، وبكى وكان الزنجي كلما بكى الطفل وخاف ضمه إلى صدره وآنسه وقال له مرة لماذا تبكي يابني وأنت في حجري وأنا لا أفارقك ؟ فقال الطفل أنت أصل بلائي وشقائي ومنك أبكي وأرتعب فياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين

وهكذا أنت يا مستر جون بول تريد أن تدافع عن مصر وأنت بغيض ما ثقيل على مصر ولا أحب إليها من مفارقتك ، واعلم أخيرا يامستر جون بول أن عهد الاستعمار قد انتهى من غير رجعة فلا تتعب نفسك في استرداده ، وقل للمستر تشرشل كان خيرا لك أن تبقى بطل الحرب الثانية وقاهر الألمان وأن تحتفظ بسمعتك: وعلى نفسك جنيت إذ رجعت إلى الحكومة ..

وأخاف أن يكون مصيرك كمصير الإمبراطور البيزنطي هرقل الذي انتصر على الفرس وسجل لنفسه فتحا رائعا في التاريخ ثم صادم العرب فلم يمت حتى انهزم أمامهم فأحبط ماضيه وأساء إلى نفسه وكان كالساعي إلى حتفه بظلفه

وكلمة أخيرة إلى الرئيس ترومان ، ما هذا التعاون على الإثم والعدوان أيها الرئيس الجليل! وأين الديمقراطية التي تتزعمها وتزعم أنك تدافع عنها وتجاهد في سبيلها فلم نرك إلا مرددا لصدى بريطانيا ، كأنك جبل لا تملك إلا الصدى ، ولم نرك تقبض مرة على الظالم وتنصر المظلوم وتغضب للحق ، ولم نرك انتصرت لشعب مستضعف ومنعت زميلتك بريطانيا من الظلم وحذرتها من عواقبه ! بل بالعكس رأيناك تسابق بريطانيا وساويتها في جحد الحق والمكابرة وإرغام الشعوب على ما لا ترضاه ثقة بثروتك الضخمة ومواردك العظيمة . وما ننس فلا ننسى سياستك الغاشمة في قضية فلسطين ومماشاتك السافرة لليهود وكيف احتضنت الصهيونية وتبنيت إسرائيل ولا تزال تحدب عليها كالأم الرؤوم ، أفليس من السذاجة ، أو من الوقاحة — إذا صحت — طمعك في صداقة العرب بعد ذلك

ألا فليسمع مستر ترومان وليسمع الذي له أذنان أن سياسة الاستعمار قد فشلت ، وأن الشرق قد بدأ يفهم الحقائق، وإن جرب الغرب بعسكراته وجبهاته فلم ير إلا شرا ومرا وظلما وجودا ودعاوى فارغة وتبجحا وتنطعا وعبثا بالعقول .. وأن في الشرق الإسلامي عقولا لا تخدعها البهرجة والتزويق والوعود الخلابة .. وأن هنا لك ضمائر وذمما لا يستطيع الدولار الأمريكي أن يشتريها ويتملكها .. فليرجع الغرب أدراجه وليشتغل بنفسه والدفاع عنه وليترك الشرق الاسلامي يقول كلمته ويدبر شؤونه ويدافع عن نفسه .. ومن المقرر أن الشرق الإسلامي والأقطار الإسلامية بعيدة من كل هجوم وخطر إذا دفع المعسكر الغربي عنها حضانته وابتعد عنها

ابو الحسن على الحسنى الندوى

مصطفى صادق الرافعي

بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة على وفاته

للأستاذ محمود أبو رية

ينقضي بانسلاخ اليوم التاسع من هذا الشهر (مايو) خمسة عشر عاماً على وفاة نابغة الأدب وحجة العرب السيد مصطفى صادق الرافعي ، فقد انتقل رحمه الله إلى الرفيق الأعلى في فجر يوم الاثنين الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ ، وانقطع من هذا اليوم وحي البيان العربي الذي كان يتنزل على قريحة هذا البليغ الكبير فتخرجه آيات من البيان العربي لا تكاد تتفق إلا الأفذاذ من البلغاء الملهمين

وإذا كان قد جاء في الأثر أن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد للمسلمين دينهم ، فإنه سبحانه يبعث بين الحين والحين من يجدد للغة العربية بلاغتها ويحيى في كل عصر معجزتها، ذلك أن حكمة الله لا تذر هذه المعجزة بغير أن يرسل لها من يحامي عنها ، ويجدد فيها

ولا يستريب أحد أن هذا النابغة قد بعثه الله في هذا العصر ليجدد من بلاغة البيان العربي ، ويضيف من وحي قريحته إلى الميراث الأدبي

وقد كان هو على يقين من أنه رسول بياني أرسل لتأييد بلاغة القرآن ، ويحيي آدابه وأخلاقه التي هي حصون الإسلام ، وأن عليه رسالة ثقيلة لابد له أن يؤديها على وجهها ، مهما ناله من العنت في سبيلها ، وقد أجملها رحمه الله في قوله : —

« القبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها ، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة ، ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا ، ثم إنه يخيل إلى دائماً : أني رسول لغوي للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه »

وقد عاش ما عاش يجاهد في سبيل هذه الرسالة لا يمل ولا يلين، وناله في هذا الجهاد ما ينال الرسل في جهادهم من أذى، وأصابه ما يصيبهم من إرهاق حتى لقي ربه راضياً مرضيا

وإذا كنا اليوم لا نستطيع إشباع نهم القول في نواحي هذه الرسالة لأن المقام لا يحتمل ذلك ولا يتسع له، وهذه الكلمة التي ننشئها لم تكن إلا من قبيل الذكرى في مناسبة عابرة، وكان لابد لنا أن نعطر كلمتنا بشذا من أريج حياته، فإنا نأتي بذرة من جليل أعماله التي كان لها أثر خالد في الأدب العربي

في أوائل هذا القرن ظهرت في مصر (بدعة لغوية) نادى بها ودعا إليها نفر من كتابنا، وكانت هذه البدعة تدعو إلى (تمصير اللغة العربية) بأن ندخل فيها من الألفاظ السوقية وعزج تراكيبها بالمصطلحات العامية حتى تخرج لغة الكتابة في أسلوب يجمع كل اللهجات المصرية فيفهمها الناس جميعاً

وكان يؤيد هذا الرأي الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد باشا بما ينشره في (الجريدة) التي كان يتولى تحريرها

وما لبثت هذه البدعة أن أنجبت مولوداً سموه (الجديد) ومعناه أن تكون لنا عربية جديدة لا تجري في بيانها على أساليب العرب الفصحاء ، وأن لا نتقيد فيما نكتب بأصول البلاغة العربية وجعلوا الميراث الأدبي البليغ (قديماً) يجب أن يذهب بذهاب أهله ، ولأن هؤلاء الدعاة لم يجدوا أمامهم من يذود من هذا الميراث ويدافع عن لغة القرآن أقوى من الرافعي فقد نحلوه زعامة هذا الأدب الذي أصبح في رأيهم (قديماً) ونشبت بينه وبينهم معارك طاحنة كان ينازلهم فيها وحده (تحت راية القرآن) في حين أنهم كانوا جماً كبيرا ذا قوة وجاه وسلطان، ولم يزل يكافحهم بشباة قلمه البليغ حتى قضى على تلك البدعة وما نحلت وكتب الله النصر للغة كتابه

ومن عجيب الأمر أنك ترى اليوم بعض من كانوا يدعون إلى هذه البدع قد أصبحوا من أشد الناس تعصباً لأساليب العربية في بيانها ولغتها

ومن مآثره التي سجلها له الأدب العربي في صحائف مفاخره أنه لما أنشئت الجامعة المصرية في سنة ١٩٠٨ لم يكن

من مناهجها دراسة آداب اللغة العربية فنضب فضبة مضرية وحمل حملة صادقة على إدارة الجامعة لكي تتدارك تفريطها المظيم في جنب الآداب العربية، ومالبثت هذه الإدارة أن عادت إلى الصواب وقررت تدريس آداب اللغة العربية، ولا تزال هذه الدراسة تنمى وتزده.

ولم يقف جهاده وفضله في هذا السبيل عند ذلك النصر؛ بل دفعه اعتزازه بلغته وتمكنه من آدابها إلى أن يخرج في هذه الآداب وتاريخها كتاباً بعد أن لم يكن لها كتاب شامل، فأظهر في سنة ١٩١٢ كتابه الخالد (تاريخ آداب العرب) ذلك الكتاب الذي لم يؤلف في موضوعه مثله؛ وبحسبك أن ترى شيخ المجلات العربية (المقتطف) التي كانت تزن المؤلفات العربية بميزان دقيق قد عقدت له يوم صدوره فصلا ممتعا من إنشاء محررها العالم الجليل الدكتور يعقوب صروف تحدث فيه عن مزايا هذا الكتاب وفضائله ختمه بهذه العبارات الدقيقة:

« والكتاب حافل بالفوائد اللغوية والأدبية والنتائج الفلسفية، ولغته في المقام الأول من الفصاحة، وهو حقيق بأن يدعى كتاب الشهر بل كتاب السنة، لأننا لا نتذكر أننا رأينا منذ سنة إلى الآن كتابا عربيا اقتضى جمعه وتبويبه واستنباط أدلته ما اقتضاه هذا الكتاب، وعسى أن يجد من إقبال القراء عليه ما هو أهل له » (١)

ولم يكد الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد باشا يطالع هذا الكتاب حتى أنشأ من أجله مقالا ضافيا ملأ به صدر (الجريدة) (٢) نجتزئ منه بما يلي

قرأنا هذا الجزء فأما نحوه فمليه طابع الباكورة في بابه يدل على أن المؤلف قد ملك موضوعه ملكا تاماً وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسناً. وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التي بسطها في هذا الجزء الأول إلا بعد درس طويل وتعب ممل

وأما أسلوب الرافعي في كتابته فإنه سليم من الشوائب الأعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحن العرب المتأخرين، فكأني وأنا أقرؤه أقرأ من قلم المبرد في استعماله المساواة وإلباس المعاني ألفاظاً سابغة مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ولا قصيرة تؤدي بعض أجزائها، وإنا نكبر غرض الرافعي ونشكره على ما حققه »

أما أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله فقد جرد له مقالا بليغاً حلى به صدر جريدة « المؤيد » (٣)، مهد فيه بفذلكة نفيسة في دراسة الأدب العربي ثم استطرد إلى الإشارة بفضل هذا الكتاب وكان مما قاله:

« ... كتب تاريخ الآداب العربية، ولم تكن الآداب وقائع تؤرخ ولا أدوارها عند العرب مما يسهل تتبعه وتبصر أعلامه على نصب من تآليف سابقة، بل هي أعلام طامسة ودروس دارسة، فرغ لها ذلك الكاتب الضليع بلنوب التحقيق حتى جمع من عظامها المبثوثة ورمامها المبعثرة هيكلا صحيحاً. وزاد بهجته ووفر شطر حسنه ما أوتيه من ملكة العربية الفصحى والتمكن من ناصية التعبير عن كل ما أراد، فلو كان هذا الكتاب خطا محجوبا في بيت حرام إخراجه منه لاستحق أن يحج إليه، ولو عكف على غير كتاب الله في نواشئ الأسحار لكان جديرا بأن يمكف عليه » (٤)

وقد صدر من هذا الكتاب جزء ثان في « إعجاز القرآن » نجتزئ في بيان قدره، بما وصفه سعد زغلول به، وهو شيخ زعماء مصر، وأبلغ سياسي في هذا العصر، وهاك جلا من خطاب طويل أرسله إلى الرافعي من مسجد وصيف مؤرخ ١ / ١١ / ١٩٢٦

« ... ولكن قوما أنكروا هذه البداهة (أي عجز أهل

---

(١) ص ١٩٨ — ١٩٩ من جزء فبراير سنة ١٩١٢ المجلد (٤٠)

(٢) الجريدة الصادرة في ٤ مارس سنة ١٩١٢ وص ٢٨٤ الى ٢٨٩ من كتاب المنتخبات لسعادة أحمد لطفي السيد باشا

(٣) جريدة المؤيد الصادرة في ٩ فبراير سنة ١٩١٢

(٤) كانت هذه الفذلكة جواباً من سؤال منا وارجع في ذلك الى الصفحات ٧ — ١٢ من كتاب (رسائل الرافعي) التي نشرناه في سنة ١٩٥٠ أبو رية

البيـان عن الإتيان بمثل القرآن) وحاولوا سترها فجاء كتابكم « إعجاز القرآن » مصدقاً لآياتها ، مكذباً لأفكارهم ، وأيد بلاغة القرآن وإعجازها بأدلة مشتقة من أسرارها في بيان مستمد من روحها ، كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم .

فلكم على الاجتهاد في وضعه والعناية بطبعه شكر المؤمنين وأجر العاملين والاحترام الفائق »

وهـذا الخطاب لم يكتب مثله هذا الزعيم الكبير لأحد غير الرافعي ، ولا جاء في التاريخ كله كلمة في وصف كتاب مثل هذه الكلمة البليغة

ومما يملأ القلب حسرة والنفس أسى أن قضى الرافعي رحمه الله قبل أن يتم هذا الكتاب ، ومما يزيد في الأسى ويضاعف في الحسرة أنا لم نجد من أدبائنا الكبار من يتقدم ليحمل هـذا العبء ويقوم بأداء هذا الواجب الذي هو في الحقيقة دين في أعناقهم جميعاً لا تبرأ ذمتهم منه حتى يؤدوه كاملا ، وهم غير معذورين ، وبخاصة فإن الأمور الآن ممهدة والطرق معبدة ، وللأدب العربي عديد من الكليات بالأزهر والجامعات

والحسرة في مثل هـذا الأمر لا يضارعها إلا حسرة أخرى على تفسير القرآن الحكيم الذي أخرجته قريحتا الإمامين الجليلين محمد عبده والسيد رشيد رضا رحمهما الله فإنا — وا أسفا — لم نجد (عالماً) من علمائنا (وهم ألوف) قد نهض لإتمام هـذا التفسير ، وكأن الأزهر « المعمور » قد عقمت أمه فلم تلد بعد الأستاذ الإمام محمد عبده أحداً . رحمه الله ورحم تلميـذه النجيب السيد رشيد رضا

ولقد كنا قرأنا منذ أكثر من ربع قرن في المقدمة التي أنشأها الدكتور طه حسين باشا لكتاب فجر الإسلام ، أنه فرغ من وضع الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي ففرحنا وانتظرنا أن تشرف علينا غرة هذا الجزء وما يليه ، ولكن انتظارنا ذهب عبثاً

ولقد كان للرافعي أسلوب في البلاغة خاص به بائن بنفسه لا يشاركه فيه أحد من الكتاب ، يعرفه كل من وقف على أساليب الكتابة العربية حتى لو أخفاه عن الناس

كنت مرة مع الأديب الكبير عبد الرحمن البرقوقي بمجلس على أحد الأندية بالقاهرة في سنة ١٩٢١ ومر بنا بائع الصحف فتناول منه رحمه الله (جريدة الأخبار) وأخذ يقرؤها وإذا به يجد في صدرها كلمة أخذت نصف عمود عنوانها : (مجيبة لنوبة — جنود سعد) ما كاد يقرؤها حتى دفع لي الصحيفة وقال : ترى لمن هذه الكلمة .. ودفع لي الجريدة فقرأتها وقلت له : إن الظن الغالب أنها للرافعي ولم يكن قد وضع اسمه عليها . فقال هي له من غير شك ولا يستطيع غيره أن ينشئها (٥)

وكان رحمه الله يعنى بتجويد عباراته ويبالغ في صقلها حتى تخرج في أروع صورة من البيان العربي ، وكان لا يترخص في ذلك ولا يتسهل

قلت له مرة بعد أن ظهر كتاب (حديث القمر) إن طائفة كبيرة من القراء لا تبلغ أفهامهم بعض عبـارات هذا الكتاب ، وأرى أن تنشئ كلاما لا يعلو على أفهام القراء ! فغضب وقال : أتريدني على أن أنزل بأسلوبي إلى إفهام عامة القراء ؟ إني أريد أن يرتفعوا هم إلى لا أن أهبط أنا إليهم ، ولأن يكون لي ألفان من القراء الذين يفهمون أساليب العربية العالية خير لي من أن يكون لي عشرات الألوف من عوام القراء

وجرى بيني وبينه مرة حديث عن أسلوب المغفور له الدكتور زكي مبارك فكان من قوله : إنك مهما قرأت له فإنك لا تكاد تجد من إنشائه عبارة بليغة يشرق منها نور البيان ، وهو لا يعتبر شاعراً ولا ناثراً ! فقلت له : وماذا يكون إذن بين كتاب البيان فقال (سمه نثرورا !) وهذه اللفظة التي استعمرتها قد قاسها على لفظة شـعرور . وقد كان مجتهداً في اللغة وله رأى في القياس اللغوي مبثوث في كتبه ، وقد نشرناه في الرسالة على ما نذكر

وإذا كان الدكتور زكي مبارك رحمه الله في رأي سيد البلغاء (نثروراً) فترى ماذا نكون درجات أولئك الذين يظنون

(٤) يرجع الى الصفحتين ٧٧ و ٧٨ في كتاب (رسائل الرافعي) تجد صورة هذه الكلمة البليغة

٦ – الباكستان

الحياة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

التعدين :

باكستان غنية بثروتها المعدنية وإن كانت هذه الثروة لم تستغل الاستغلال الكافى حتى الآن

فالبترول يوجد فى باكستان الشرقية والغربية بكميات وافرة ويبلغ ما تنتجه حقول البترول فى البنجاب وحدها ١٥ مليون

أنفسهم أنهم من كبار الكتاب ويسودون الصحف كل يوم بما يكتبون ؟؟

ومن عجيب أمر هذا الرجل أنه كان من عزة النفس وكبريائها بحيث لا يخضع لإنسان ولا ينافق لمخلوق ولا يستعين بكبير ولا يستنصر بوزير كأنه الجبل الأشم الذى لا يستند إلى شئ، وأن مرد ذلك إلى قوة إيمانه وكمال يقينه ، ومن كان مثله فى قوة الإيمان وخالص التوحيد فإنه لا يستعين إلا بالله ولا يخشى إلا الله ولا يتوكل إلا على الله الذى إليه يرجع الأمر كله

هذا ما تيسر لنا اليوم من القول فى هذا العظيم الذى خلا مكانه ،لا ريب كما يقول العرب، وهذه الكلمة التى نرسلها اليوم فى ذكرى وفاته إنما هى سطر نضعه على هامش تاريخه الحافل بالمآثر والمفاخر إلى أن يأذن الله بتدوين هذا التاريخ الذى لا نظن أن أحدا يستطيع أداءه إلا إذا كان فى مثل بلاغته حتى يأتى به كاملا على حقيقته

ولعلنا بهذه الكلمة الصغيرة نكون قد أدينا بعض ما يجب علينا فى هذه المناسبة ، وأن نكون آية وفاء لشيخنا الرافعى رحمه الله، وتحية طيبة تصعد إلى روحه الطاهرة فى الملأ الأعلى يرضى هو بها ويرضى الله عنها

محمود أبو رية

جالون فى العام ، ومن المنتظر أن يزيد الإنتاج كثيرا . ومما يدل على وفرة البترول فى باكستان أنه عثر على بئر فى غرب البنجاب ١٩٤٨ بلغ إنتاجها فى اليوم ١٠٠٠٠ جالون

وباكستان ثانية دول العالم غنى بالكروم chromite ويوجد فى بلوخستان وإقليم الحدود الشمالية الغربية وتقدر قيمة ما يستخرج منه سنويا بنحو ١٢٠٠٠ طن

ويوجد الفحم فى إقليم غرب البنجاب وفى بلوخستان وفى إقليم الحدود الشمالية الغربية وفى باكستان الشرقية

أما الحديد فيوجد فى إقليم الحدود الشمالية الغربية وفى إقليم السند الأدنى

ويوجد الكبريت والذهب والنحاس والملح وأملاح البوتاس وأملاح الصودا والصوديوم بوفرة فى باكستان

ونظرا لوجود الفحم والبترول والحديد فإنه من المنتظر أن تزدهر الصناعة فى باكستان وخاصة بعد توليد الكهرباء من مساقط المياه . وتولى حكومة باكستان اهتماما خاصا بترقية مشاريع توليد القوى الكهربائية ، ويدلنا على ذلك أن مؤتمر الصناعات الذى عقد فى ديسمبر ١٩٤٧ قرر إنشاء مشاريع يتسنى معها توليد ٥٠٠٠٠٠ كيلوات كما أوصى بإتمام أعمال مشروعين : أحدهما فى غرب البنجاب يمكن بواسطته توليد ٢٦٠٠٠ كيلوات، والآخر فى باكستان الشرقية يمكن بواسطته توليد ٦٠٠٠٠ كيلوات ، وكل هذه المشاريع تهدف إلى النهوض بالصناعة فى باكستان

الصناعة

تعتبر صناعة السكر من أهم صناعات الباكستان ، وقد أسس منذ سنوات مصنع هائل للسكر يعتبر الأول من نوعه فى آسيا كلها ؛ إذ يبلغ إنتاجه السنوى نحو ٥٠٠٠٠ طنا ، وتعمل الباكستان على مضاعفة إنتاجها ويساعدها على تحقيق ذلك صلاحية أرضها ومناخها لزراعة أنواع جيدة من قصب السكر

صناعة الجوت

تنتج باكستان ٨٠ ٪ من الجوت العالمى . وقد كانت

كلكتا مركز صناعته الرئيسية ، ولكن فى مشروع التقسيم أعطيت كلكتا للهندستان ، وكان طبيعيا أن تعمل باكستان على إنشاء المصانع اللازمة لصناعة الجوت . وقد أخذت الباكستان فعلا فى إنشاء المصانع واستوردت الآلات اللازمة لها

صناعة الورق

المواد الخام اللازمة لصناعة الورق موفورة فى باكستان وخاصة فى باكستان الشرقية حيث تنمو الغابات بوفرة . ولهذا قررت حكومة الباكستان إنشاء مصنع لصناعة الورق فى باكستان الشرقية

صناعة المنسوجات

من الطبيعى أن تعنى الباكستان بصناعة المنسوجات وخاصة القطنية والصوفية، وذلك بسبب حاجة السكان إليها وبسبب توافر القطن والصوف . ولهذا أنشأت الحكومة مصنعا للصوف ينتج يوميا ١٤٫٠٠٠ رطل ومصانع أخرى لنسج القطن

صناعة السفن

تقوم هذه الصناعة فى الموانى، وأهم مركز لها فى كراتشى فيها عدة مؤسسات صناعية تصنع فيها القوارب والسفن الصغيرة وتصلح فيها السفن الكبيرة

وفى باكستان الشرقية توجد عدة معامل لبناء القوارب وإصلاح السفن . وتهتم الحكومة المركزية بالنهوض بهذه الصناعة

وإلى جانب هذه الصناعات تقوم صناعات أخرى هامة أهمها صناعة إنتاج الزيوت والمصابيح الكهربائية وصناعة الآلات الحديدية والصناعات الكيماوية وصناعة الأسمنت

وإن باكستان تحاول جاهدة تدعيم الإنتاج الصناعى بها حتى تستطيع أن تنتج ما تحتاج إليه

مستقبلها

الباكستان دولة ناشئة ، وحاضرها يبشر بخير كثير إن شاء الله ، وعناصر قوتها موفورة : فهى دولة واسعة المساحة ، كثيرة السكان، غنية بمواردها الطبيعية

ولكن أهم من هذا كله أن حياتها تتركز على دعامتين هما أساس قوة كل شعب ومصدر عظمة كل أمة : فالباكستانيون قوم مؤمنون بدينهم ، وفى الدين من غير شك قوة تهدى إلى السبيل الأقوم ، ومشكاة تنير سبيل الرشاد . ويتجلى هذا واضحا قويا فى كلمات أبى الباكستان محمد على جناح : « ليس الإسلام مجرد مجموعة طقوس وتقاليد وتعاليم روحية ، إنما هو دستور حياة كل مسلم ... دستور يهيج عليه فى حياته وتصرفاته فى جميع النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وهو دستور قائم على أسمى مبادئ العزة والنزاهة والعدالة

إنما الحكم إله واحد ، وإن صفة الوحدانية من مبادئ الإسلام الأساسية، وليس فى الإسلام ثمة فرق بين شخص وآخر، فمن مبادئه الأساسية المساواة والحرية والأخوة

لا يستطيع شعب من الشعوب أن يتطور ويرتقى مالم يكن متكاتفا متآزرا ، إننا كنا مسلمون وكنا باكستانيون، وعليكم بصفتكم أبناء الدولة أن تخدموها وتضحوا ، بل وتموتوا من أجلها، لكى تجعلوها دولة سائدة »

وفى قول لياقت على خان :

« ... والباكستان لم تنشأ إلا لأن مسلمى شبه القارة أرادوا أن يتبعوا فى حياتهم الطريق السوى الذى رسمه لهم الإسلام ، وأن يتعاملوا حسب تعاليمه وتقاليده السمحاء ، وإلا لأنهم أرادوا أن يبينوا للعالم أن الإسلام يستطيع أن يجد الدواء الناجع لتلك الأمراض والعلل التى تتفشى اليوم فى كيانه وتسرى فى بنيانه

... إننا كباكستانيين لا يميننا أننا مسلمون ، لأننا نعتقد أننا باتباع ديننا القويم وتعاليمه السمحاء نستطيع أن نسهم بقسط كبير فى رفاهية هذا العالم

... ونحن — شعب الباكستان — نعتقد بإخلاص ويقين كا نؤمن بشجاعة بأن كل قوة وكل سلطان يجب أن يتمشى مع تعاليم الإسلام »

وهكذا نجد فى باكستان أمة مؤمنة قوية تعتمد على نصر الله (ولينصرن الله من ينصره)

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تلتمس الباكستان أسباب القوة المادية فتعمل جاهدة على أخذ أحسن ما فى الحضارة الغربية من علم وفن . وإذا اجتمع العلم والإيمان فالنصر محقق بإذن الله

وتحقيقا لهذه الغاية تعنى الباكستان بجيشها عناية كبرى وميزانيته تبلغ حوالى ٤٠٪ من ميزانيتها . وتعنى أيضا بنشر الثقافة والتعليم فلديها أربع جامعات ، ٩٨ كلية ، ١٧٠٠ مدرسة عليا ، ٥٠٠٠ مدرسة ثانوية ، ٤٠٠٠٠ مدرسة ابتدائية ، ١١٠ مدرسة فنية صناعية الخ

وتقوم المرأة فى حياة الباكستان بواجبها خير قيام ، فهى شقيقة الرجال وأم الأبطال وطبيبة المرضى والجرحى . وقد قام نساء الباكستان بجهد مشكور فى حل مشكلة اللاجئين الذين وفدوا إليها من الهندستان عراة معوزين تركوا أموالهم وديارهم وأملاكهم وفروا بدينهم إلى الباكستان . أثارت هذه الويلات نفوس الباكستانيات فقمن بنصيب موفور فى التخفيف عن المعوزين ومواساة الجرحى والمنكوبين

ولم يقف جهد المرأة عند هـذا الحد ، بل نزلت إلى ميدان الصناعة والتجارة والطب ، بل وأكثر من هذا أن المرأة تقدمت لحمل السلاح للذود عن الوطن ، ودخلت معترك السياسة دون ضجيج أو جلبة ، وهى قبل كل شئ وبعد كل شئ قدوة للمرأة الصالحة

يقول الدكتور عمر فروخ : لقد دخلت المرأة الباكستانية معترك الحياة : فى التمريض والطب والتجارة والصناعة وفى الجيش والأسطول وفى المجالس التأسيسية ودوائر الحكومة ...

أما المرأة العربية فقد بدأت الاختلاط من الجانب الآخر : بدأت بالسينما وحمامات البحر وبالنزه وحفلات الشاى والكوكتيل ...

إن الوطن العربى لن يستطيع أن يحفظ أخلاقه ولا أن يهيئ الجو الصالح للمرأة لتستفيد من مواهبها إلا إذا أعد لها برنامجا جديدا للتربية والتعليم ! !

وهكذا نجد أن المرأة الباكستانية تقوم بدورها فى إعداد أمة صالحة خير قيام، ويا حبذا لو اتخذتها المرأة العربية قدوة لها

وأحب قبل أن أختتم بحثى أن أذكر أن اللغة العربية منتشرة بين الباكستان، وإن كان معظم سكان باكستان الغربية يتكلم باللغة الأردية والبنغالية فى باكستان الشرقية . ولكن الاتجاه الآن موجه إلى نشر اللغة العربية لأنها لغة القرآن

وأخيرا : إن فى جميع ما سبق ما يبشر بمستقبل عظيم للباكستان ، ويكفى أن تكون أمة مؤمنة بربها قوية برجالها ونسائها ، فإن هذا كله كفيل بتحقيق آمالها وآمالنا فيها إن شاء الله

باكستان زنده باد

أبو الفتوح عطيفة

أثر المدرسة المصرية في الثقافة

للأستاذ ثروت أباظة

التثقيف في اللغة التهذيب . ويقول العرب ثقف القناة أى شذبها . ومن هذا المعنى وجدت كلة الثقافة . غير أن العقل أخذ مكان القناة وتدرجت الكلمة فى هذه المدارج وأخذت سمتها منذ أزمان غاية فى البعد . هذا هو التثقيف فى معناه اللغوى .. أما من هو مثقف فهذا ما لم يدره أحد حتى الآن، فقد كثرت التعاريف وتعارضت . وأغلب الظن أن كل واضع لتعريف كان ينظر إلى نفسه حين يضع تعريفه فيجعل شخصه هو المثقف ومن دونه ليسوا جديرين بهذا اللقب . ولا شك أن فى مثل هذه الأحكام الذاتية الشخصية جنوحا عن الدقة وابتعادا عن الحق

وإنى لأعجز أن أضع تعريفا للمثقف لأنى أخشى أن أزل فى التعبير .. ولكننى أستطيع أن أتصوره شخصا بعيدا عن التفاهة رفيعا عن الصغار احتك بالتجارب وتعلم منها بعد أن استوعب الكتب وفهمها . وأستطيع أن أتصوره شخصا بعيد الأفق متسع التفكير يقبل ذهنه أن يتفهم ما يعرض عليه ، لا يرى فى جهله بأمر مسبة وهو يقر بالجهل ويسعى إلى العلم . وأستطيع أن أتصوره شخصا قد بعد عن فترة الغرور .. ذلك الغرور الذى لا أعنى به الثقة بالنفس فإن الفارق بينهما دقيق . والشخص الواثق بشخصيته إذا غلا بعض الشئ فى هذا الوثوق أصبح مغرورا .. والمثقف كما أتصوره من استطاع أن يضع الحد الفاصل بين الغرور والثقة ، أو هو ذلك المرء الذى دعا له النبي عليه الصلاة والسلام حين قال : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه فأراح واستراح » فذلك الشخص الذى يستطيع أن يصل إلى هذه الرحمة من الله عارفا قدر نفسه مريحا مستريحا .. ذلك الشخص — إذا وجد — مثقف تهذبت نفسه ؛ والنفس لا تهذب إلا إذا هذب العقل

هذا هو الرجل المثقف كما أتصوره فى مظهره الخارجى .. أما كيف يثقف المرء ؟ ومتى يصل من الثقافة إلى المكان الذى يقال فيه إن الرجل قد تثقف .. أما هذا فما أحسبنى مستطيع الوصول إليه على وجه القطع ، فالثقافات متعددة متشعبة ، وقد يكون الشخص عالما بمادة ما كالكيميا مثلا ثم هو لا يفقه شيئا فى الأدب ، أو قد يكون أديبا كبيرا وهو لا يعرف من علم الإحصاء شيئا

فهل يحسب المرء أن يكون عالما فى ناحية من نواحى الحياة الثقافية حتى يكون مثقفا ، أم لزام عليه أن يكون ملما بكل فن — فى هذا اختلفت الآراء .. فإن من الإنجليز من يقول Jack of all trades master of none من يعلم كل شئ لا يجيد شيئا . وصاحب هذا الرأى يرى أن يثقف المرء نفسه فى الناحية التى تلتقى بميل طبيعى فيه حتى يصل منها إلى المدى البعيد — وإنى — إذا جاز لى أن أبدى رأيى ، أرى أن هذا النهج فى الثقافة أمكن لمنتهجه وخاصة فى هذا العصر الذى أصبح التخصص فيه هو الأساس العلمى

أرى ذلك فى بدء التكوين على الأقل ؛ أما إذا كان الرجل قد بلغ فى ناحية ما مبلغ الأساتذة الكبار فإنه لا جناح عليه إن ألم بالفنون الأخرى

على أن منابع الثقافة تكاد تتحد مهما اختلفت الآراء فى سنن الثقافة نفسها ، فهناك الثقافة المدرسية وتلك سنتركها إلى الكلام عن المدرسة ، وهناك الثقافة التجريبية وهى التى تكونها حادثات الزمن ومجرياته ، وهناك الثقافة الحرة وهي أغزر الثقافات تدفقا ، فما أحسب رجلا تثقف من المدرسة وحدها ، ولا من الزمن وحده ، بل لا بد له من تلك الثقافة الحرة التى لا تقيده بمنهج معين ، بل هى ميل طبيعى فى النفس يتغذيه صاحبه بما يقع فى يده متصلا بهذا الفن بسبب ما ولا ضابط عليه فى الاختيار ، إنما هو يقرأ الرائع الشامخ ، والهزيل الضئيل ، فتنمو إمكانيته قوية فى الإنتاج بما اكتسبه من العمل الكبير ، قوية فى النقد بما أخذ على العمل الصغير . وإننا إذا أمررنا بأذهاننا أسماء الأئمة الكبار من كل فن وعلم وجدنا أن الجانب الأكبر من ثقافتهم قد تكون من تلك الثقافة الحرة

وقد رأى بعض الكتاب الغربيين أن العقلية المثقفة لا تبلغ

المحاضرة التى ألقيت يوم الخميس ٨ مايو بنقابة الصحفيين

أوجها إلا بعد مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى .. ونستطيع أن نسميها مرحلة الكسب وهذه المرحلة هي التي تتجمع فيها لدى المرء المعلومات المتناثرة فتتجلى في خلال هذه الفترة الناحية التي تتألق فيها الملكة الكامنة في نفس صاحبها ، ويأخذ من نثار هذه المعلومات ناحية معينة يميل إليها ببحثه فتأخذ عقليته المقفلة في التفتح وتندى من بعد جفاف

أما المرحلة الثانية .. فهي تلك التي ينسق فيها المرء معلوماته ويهذبها ، ويقول صاحب هذا الرأي · إن المرء في هذه المرحلة إذا نسق معلوماته تنسيقا صحيحا يكاد يصل إلى الخلق بحيث يدق على الرجل العادي أن يفرق بين منسق وخلق

أما المرحلة الثالثة .. فهي مرحلة الخلق ومن نتاجها الروائع الخالدات من كل فن وعلم . المفروض أن يكون هذا التقسيم منطقيا على العلوم والفنون، ولكن الواقع من الأمر أنه لا يكاد ينطبق إلا على دقة نادرة

فإننا إذا ماشيناه أصبح حتما علينا أن نصدق أن كل ما تحق بكلية الحقوق يعرف من القانون ما جعله يميل إلى هذه الناحية ، أو أن ملتحقا بكلية الهندسة بحث قبل أن يلتحق بها ودرس علوما عدة حتى اختار الهندسة بالذات . كما يجبرنا أن نفهم أن كل أديب درس قبل دراسته للأدب ضروبا أخرى من الفن كالرسم أو الموسيقى ، ثم عزف عن كل هذا ليختار الأدب فنا – يجبرنا هذا التقسيم على هذا الفهم ، ولكن الواقع من ناحية أخرى يجبرنا على عدم التصديق ولما كان الواقع دائما هو الغلاب المنتصر فإنه لا يسعنا إلا أن نحنى له الهام ، فلا نجارى التقسيم في مرحلته الأولى هذه ، قائلين له إننا لا نستطيع أن نتركك ، فإنه ليس حتما أن يقرأ المرء كل العلوم والفنون حتى يتمكن من اختيار علم أو فن ؛ وإنما هي في أغلب الأحايين الصدفة أو البيئة . التقسيم إذن ليس شاملا فيما يختص بالاختيار

أما فيما يختص بالمرحلة الثانية التي تنص على التنسيق والتقسيم فإنها تقصر هي أيضا على الأدب مثلا فما رأينا أديبا ينسق معلوماته فيقول إن هذه الأبيات تنضمن في علم البديع ، وهاته تفيدني في علم النحو ، وهذه الكلمة حسنة أحفظها ، وتلك قبيحة أنساها ، وهذه بين وبين . إن أديبا ما لو فعل هذا لكان من أعظم جهلاء الأدب . والواقع مرة أخرى أن أحدا لا يفعل هذا ، فالتقسيم قاصر ، ولا شك أن الفارق بين تنسيق المعلومات وهو ما قصد إليه التقسيم وبين تنسيق العقلية وهو مالم يقصد إليه التقسيم . الفارق بين التنسيقين كبير . فتنسيق المعلومات خطة استنها أحد الفلاسفة الغربيين ليصل بها إلى بعض الحقائق الفلسفية . فليس من الضروري إذن أن تكون هذه الطريقة ناجحة في كل علم ، بل إن أغلب الفلاسفة لا يعترف بها في الفلسفة نفسها ، أما تنسيق العقلية فهو أمر آخر ليس هنا مجال البحث فيه

المرحلة الثالثة .. من هذا التقسيم رتب الخلق على التنسيق أي أن صاحب هذا السؤال يرى أن من نسق معلوماته خلق ، ومن لم ينسقها لن يخلق ، وهو قول واضح العجب

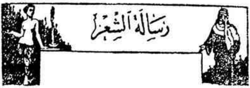
ويرون أنه من الصعوبة بمكان أن نحدد الثقافة أو نحدد المثقف ، وليس عجيبا أن نعجز نحن ، فقد قال ديهاميل: «الثقافة كالإعصار الذي لا يكفي أن نطلبه لنناله فهي نتيجة لمجموعة من الملابسات التي لم يكشف لنا العلم بعد تكوينها الحقيق ، ومع ذلك فنحن نعرف على الأقل بعضا من عناصرها المكونة »

وهذا القول يريكم كم يصعب الأمر على التعريف ، ولكن هذا لن يمنعنا من البحث وراء تلك العناصر القليلة التي تدخل ضمن تكوين الثقافة . واعتقادي أن الاعتراف بالجهل هو أول هذه العناصر ، فحين يعلم المرء أنه ما زال يجهل لا بد له أن يسعى ليمنع عن نفسه هذا الجهل ، وقد ترجم هذا شعرا أحد شعرائنا المعاصرين إذ قال :

هل رأيت الراكض المجنون يعدو خلف ظله
جاهدا يسبقه الظل ويغريه بنوله
هو منه خطوة لكنها كالكون كله
هكذا الإنسان في الدنيا ضليلا خلف عقله
كلما ازداد علوما زاد إيقانا بجهله

البقية في العدد القادم

ثروت أباظة



ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

بقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

بريدة بن الحصيب وأصحابه يأتون بعده

وأتى بعده (بريدة) يرجو   أن ينال الغنى ، وكان فقيرا
يركب الليل والنهار ويطوى ال   بيد غبراً سهولها والوعورا
فى رجال من صحبه زعموا ال
إغراء نصحاً ، واستحسنوا التغريرا
آثروا الله والرسول ففازوا   وارتضوها تجارة لن تبورا
أسلموا ، وارتأى (بريدة) رأياً   ألمعيا ، وكان حرا غيورا
قال : ما ينبغى لمثل رسول الله   ـه أن يألو البلاد ظهورا
كيف تمشى بلا لواء وقد أو   تيت من ربك المقام الأثيرا ؟
ليس لى من عمامتى ومن الرم   ح عذيرا إذا التمست عذيرا
أخفق يا عمامتى واعل يا رمـ   ـى فقد خفت أن تعود كسيرا
ومشى باللواء بين يديه   يتاقى السنا البهى نخورا

فى خيمة أم معبد

يا حديث لأم معبد تستقيـ   ـه ظمآى النفوس عذبا نميرا ؟
سائل (الشاة) كيف درت وكانت
كزة (١) الضرع لا ترجى الدرورا
بركات « السمح المؤمل » يقرى   أمم الأرض زائراً أو مزورا
مظهر الحق للنبوة سبحا   نك ربا فرد الجلال قديرا

(١) يابسة الضرع ، والدرور مصدر من در

فى قبـاء

يا (حياة النفوس) جئت (قباء)   جيئة الروح تبعث المقبورا
إرفع (المسجد المبارك) واصنع   للبرايا صنيعك المشكورا
معقل يعصم النفوس ويأبى   أن يميل الهوى بها أو يجورا
أوصها بالصلاة فهى علاج   أو سياج يذود عنها الشرورا
غرس الله دوحة الدين قدما   وقضاها أرومة وجذورا
لو أردت النضار لم تحمل الأحـ
ـجار ، توهى القوى ، وتحنى الظهورا (٢)
أرأيت (ابن ياسر (٣)) كيف يبنى ؟
أرأيت المشيع الشميرا ؟
أرأيت البناء يستبق القو   م صعوداً ، ويزدهيهم سؤورا (٤)
أرأيت الفحل الأبى جنيبا (٥)   فى يد الله ، والهزبر المصورا ؟
ينصب النحر للحجارة والطـ   ـين ، يغير الحلى ، ويفرى النحورا
ما بنى مثله على الدهر غر (٦)   راح يبنى (خورنقا) أو (سديرا)
يجد الحق فى البناء حصونا   ويرى الطير فى البناء وكورا (٧)

حى بنى عمرو بن عوف (٨)

(بورك الحى حيكم يابنى عمـ   ـرو بن عوف ، ولا يزل ممطورا)
كنت فيه الضيف الذى يغمر الأنـ
ـفس والدور نعمة وحبورا
ما رأت مثلك الديار ، ولا حيـ   ـالك القوم فى الضيوف نظيرا
كرهوا أن تبين عنهم ، فقالوا   أملالا أزمعت عنا المسيرا ؟
قلت : بل (يثرب) انتويت وما أ   فيت نفسى بغيرها مأمورا
قرية تأكل القرى وتربها   كيف تلق البلى ، وتشكو الدثورا
طربت ناقتى إلى لا بتيها   فدعوا رحلها ، وخلوا الجريرا (٩)
رحمة الله والسلام عليكم   (آل عوف) كبيركم ، والصغيرا

(٢) كان صلى الله عليه وسلم يحمل الحجر العظيم فيسأله أحد أصحابه أن يتركه له ، فيقول : لا ، خذ مثله ، (٣) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أسس النبى المسجد وأتمه هو ، والشمير الماضى فى الأمور المجرب (٤) السؤور الوثوب والارتفاع (٥) الجنيب والمجنوب ما يقاد من الخيل ونحوها (٦) هو من لم يجرب الأمور (٧) اشارة الى قول الشاعر فى بعض الأبنية العظيمة: شاده مرمرا وجلله كا   سا ، فللطير فى ذراه وكور
(٨) نزل النبى صلى الله عليه وسلم فى قباء على كلثوم بن الهدم كبير بنى عمرو بن عوف ، وهم من الأوس ، وكان للموضع الذى بنى فيه المسجد مربداً له (٩) الجرير الزمام

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

جوائز فؤاد الأول الأدبية:

احتفل يوم ٢٨ إبريل الماضي بتوزيع جوائز فؤاد الأول على الفائزين بها في هذا العام، وقد فاز بجائزة الأدب الأستاذان عزيز أباظة وفريد أبو حديد بك، على نحو ما أشرنا إليه في العدد الأسبق من «الرسالة»

وقد أجيز عزيز باشا على مسرحيته الشعرية «العباسة» وهي رواية إنسانية حلل فيها الشاعر موقف العباسة أخت الرشيد في زواجها السري بجعفر بن يحيى البرمكي، كسيدة من البيت المالك خفق قلبها بحب الزوج وحب الولد، وصور الصراع بين هذه العاطفة وبين الاعتبارات الأخرى التي جعلت الرشيد يعقد زواج وزيره بأخته سرا. وفي رأيي أن هذه المسرحية أحسن مسرحيات عزيز باشا كلها، وهي من الأعمال الأدبية الخالدة

أما الأستاذ أبو حديد بك فقد أجيز على قصته (الوعاء المرمري) ولم يتح لي بعد قراءة هذه القصة، على أنني أعرف الأستاذ كما يعرفه الكثير قصاصا بارعا ظفرت ثروتنا الأدبية منه بطائفة من المؤلفات والقصص القيمة

وبعد فلي ملاحظتان: إحداهما خاصة بتقسيم جائزة هذا العام، وتتعلق الأخرى بتكوين لجنة الجوائز الأدبية

أعتقد أن الغرض من هذه الجوائز الملكية الكريمة — وهو تتويج عمل أدبي بارز — لا يتحقق كاملا إلا بمنح الجائزة كاملة لمؤلف واحد، وهي تماثل جائزة «نوبل» والتي نعرفه أن هذه الجائزة لم تمنح مجزأة للغرض السالف، لذلك لم يكن لجائزتنا هذا العام وقعها المأمول، إذ قسمت بين الفائزين الكبيرين

تلك هي الملاحظة الأولى، أما الثانية فقد أثارها في خاطري أن الأستاذ فريد أبو حديد بك كان عضوا في لجنة الجوائز، فاعتذر من عدم الاشتراك فيها هذا العام، فكان هذا فرصة طيبة لتقدير إنتاجه. ترى هل ننتظر اعتذرات أعضاء آخرين حتى يمكن تقدير آدابهم!

الرأي عندي أن يعاد تكوين اللجنة بحيث تشمل الأدباء الذين فازوا، حتى الآن، بالجائزة، وهم الدكتور طه حسين باشا والأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد أمين بك والدكتور محمد حسين هيكل باشا ومحمود تيمور بك وتوفيق الحكيم بك وعزيز أباظة باشا وفريد أبو حديد بك. ويتنحى عن عضوية اللجنة كل من له إنتاج تنطبق عليه الشروط

احتفال الجامعة الشعبية بالربيع:

أعلنت الجامعة الشعبية أنها ستقيم «مهرجان الأدب والفن في عيد الربيع» ووصلتني دعوتها في يوم لا ربيع فيه.. فقد كان مغبرا حابس الأنفاس كأن هواءه ينبعث من أتون.. فشعرت بشيء من الغيظ لطفته المفارقة بين دعوة الجامعة والحال الواقعة، ثم داخل نفسي شيء من الخبث، إذ رجوت أن يأتي يوم المهرجان من هذه الأيام النكراء التي يتعاقب فيها الحر والبرد فيؤذي تقلبها الجسم ويقذي العين ويزكم الأنف ويسقم النفس، فأشمت بمن سيتغنون بالربيع وبهجته واعتدال جوه.. ولكن خاب رجائي، فقد كان ذلك اليوم الذي ذهبنا فيه إلى نادي الصحفيين لمشاهدة المهرجان، من الأيام النادرة الخاطفة التي يطل فيها الربيع على بلادنا ثم لا يلبث أن يعدو

فلننفض هنا عن أعاصير الربيع و«خماسينه» ولنستمع إلى خطباء المهرجان وشعرائه، فقد نجد في ربيع الأدب ما يعوضنا عن ربيع الطبيعة

افتتح الحفل بكلمة للأستاذ الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا أثنى فيها على جهود الجامعة الشعبية في خدمة الفن والأدب، ثم قال إن العرب شغفوا بكل ما تزخر به الطبيعة من مباهج وفنون، وكان الربيع في الأدب العربي لمحات وإن كانت باهتة الأضواء إلا أنها تومئ إلى مدى تعلق النفس العربية بالجمال

الكوني في شتى ألوانه ومرائيه، ومما يعجبني من وصف العرب للربيع قول ابن الرومي:

حيتك عنا شمال طاف طائفها
بجنة فجرت روحا وريحانا
هبت سحيراً فناجى الغصن صاحبه
سرا بها وتداعى الطير إعلانا
ورق تغنى على خضر مهدلة
تسمو بها وتمس الأرض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طرب
والغصن من هز عطفيه نشوانا

ثم قال الأستاذ عزيز باشا: إن رأيي في الذي كتبه العرب عن الربيع أنه بصفة عامة بعيد عن الروح الشعرية التي نأمل أن نجدها في أدبنا الحديث، فأغلب الذين تحدثوا عن الربيع لم يتجاوزوا حدود الملموسات والمرئيات حتى كأن الحياة، وهي العنصر الجياش في تكوين الربيع، لا تمت إليه بصلة من الصلات

وأنا لا أستريح إلى مثل هذه الأحكام المطلقة، فلا شك أن كل أدب يشتمل على الصادق والمزور والرائع والتافه. وأعلم أنه لا جدوى من المناقشة في هذه القضية، فلو استدل أحد الطرفين بأمثلة تتوافر فيها الروح الشعرية الصادقة، قال الطرف الثاني إنها من القليل، وإن أتى الثاني بما لا يصور الحياة الجياشة . . . فلن يعجز الأول من أن ينسبه أيضاً إلى القلة ... ومن لا يقتنع فليحص ...

كشكول الأسبوع

□ قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية إقامة حفلة استقبال الدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة ابراهيم وعضو المجمع الجديد يوم الإثنين ١٩ مايو الحالي، ويلقي كلمة استقباله الدكتور ابراهيم بيومي مدكور

وكان المقرر أن تقام حفلة الاستقبال لواصف غالي باشا والدكتور كامل حسين الذين انتخبا وعينا معا، ولكن حدث أن سافر الأول الى أوربا، وقد علم محرر «الكشكول» أن سعادته أبدى رغبة في إعفائه من عضوية المجمع لأن وقته لا يسمح بالمشاركة في أعماله

□ جاء من باريس أن أعضاء المجمع الفرنسي وافقوا بالإجماع على ضم مجمع فؤاد الأول للغة العربية الى الاتحاد الدولي للمجامع

□ دعا معرض الفنون بميلانو سعادة الدكتور طه حسين باشا الى حضور مؤتمر الفنون الدولي الذي سيقام هناك في يولية القادم ويحضره أقطاب الفنون في العالم ليحاضروا به كل في اختصاصه حول الموضوع الأساسي «الفنان والمجتمع» وسيحاضر عميد أدباء العرب في «الأديب والمجتمع»

□ كنا نخال العميد يستجم بعد خروجه من الوزارة بالخلود الى الراحة بعض الوقت فاذا هو — كما فهمنا من مقال له بالأهرام — «يستجم» بتأليف الجزء الثاني من «الفتنة الكبرى»

□ اجتمع طائفة من أعلام القصة في مصر وقرروا تكوين «نادي القصة» وهو يهدف الى أمرين، الأول نشر إنتاج القصصيين المعروفين بطريقة تيسر حصول الجماهير على هذا الانتاج في نطاق واسع، والأمر الثاني إتاحة الفرص لذوي المواهب من الناشئين بنشر الجيد مما يكتبون وممن يضمهم هذا النادي الأساتذة فريد أبو حديد بك واحسان عبد القدوس وصلاح ذهني وأمين يوسف غراب ومحمد عبد الحليم عبد الله وعبد الحميد جودة السحار ويوسف السباعي

وألقى الأستاذ علي عزت الأنصاري كلمة عنوانها «الربيع في الأدب العربي» أشار إلى مثل ما قال به عزيز باشا. وقد أحسن بعرضه طائفة من الشعر العربي الذي قيل في الربيع مع شيء من التحليل لا بأس به

وكانت كلمة الأستاذ محمد مصطفى حمام ظريفة كدأبه، وكان موضوعها «الربيع في الأدب الشعبي» وقد استرعى التفاتي قوله: أشهر أنواع الأدب الشعبي الزجل والشعر السهل الذي لا يعسر فهمه على العامة. فقد جعل الشعر السهل من الأدب الشعبي، ولست أدري هل فعل ذلك توطئة لقصيدته في الربيع التي أولها:

لي وللناس في الربيع معاني
ولنا في الربيع أحلى الأماني
فربيع الحياة عصر صبانا
وشباب الأرواح والأبدان
وربيع القلوب حب وقربى
وتواص برحمة وحنان

إلى أن تدفعه روح المرح والدعابة التي جبل عليها فيقول

وربيع الجيوب إحراز مال
وامتلاء بالأصفر الرنان
وربيع الموظفين علاوات
ورزق يأتي بغير أوان

وقد نال الإعجاب واشتد التصفيق له إذ قال:

وربيع المصري يوم خلاص
وجلاء من مصر والسودان

ولم ألتفت إلى ذلك لأخالفه فى اعتبار الشعر السهل من الأدب الشعبي بل لأوافقه .. فالأدب ينسب إلى الشعب لأنه يعبر عنه ولأنه يفهمه ، فإن كان جاهلا باللغة العربية لا يفهم ما يصاغ بها ، فالأدب الشعبي هو العامى فقط ، وإن تقدم فى فهمها — كالواقع الآن — فكل ما يستسيغه من الأدب شعبي ولو كان بالفصحى

ومن طريف الزجل الذى أورده الأستاذ حسام للأستاذ محمود بيرم التونسى — وهو نسيج وحده فى هذا الميدان — قوله :

يا ورد أستنظرك قبل الربيع بربيع واوهبلك العمر
واجمل لأهل اللامه فى هوا شفيع أوراقك الحمر
إنت الى خليتنى وحدك عبدك ومطيع للبيض والسمر
واوهب لك العمر بالى عمرك انت قصير ويقصر الهم
أوراقك الحمر تشرب دم قلبي عصير يا اغلى من الدم
للبيض والسمر تهدى وانت حر أسير تنباس وتنضم

عباس خضر



الديمقراطية فى الاسلام

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للاستاذ عبد الرازق عبد ربه

ظهرت فى السنوات الأخيرة ، مؤلفات عديدة فى اللغة العربية تبحث فى موضوعات إسلامية ، ولم تكن تلك المؤلفات بأقلام الغربيين أو المستشرقين كما كان الأمر من قبل ، وإنما كانت كلها بأقلام سادة من كبار الكتاب المصريين فى هذا العصر الحديث ؛ فالأستاذ سيد قطب بحث فى العدالة الاجتماعية فى الإسلام ثم خص الرأسمالية والإسلام بكتاب ، وأستاذنا الدكتور أحمد أمين بك يصدر كتابا عن الإسلام بعنوان « يوم الإسلام » وها هو ذا أستاذنا الكبير العقاد الذى درس بطريقته المبتدعة الرصينة عظماء الإسلام فى سلسلة العبقريات يصدر اليوم كتاب « الديمقراطية فى الإسلام » بعد أن أصدر منذ خمس سنوات كتابه « الفلسفة القرآنية » ومن أحق من أستاذنا العقاد بالكتابة عن الديمقراطية ؟ فهو كاتبها الأول المنافح عنها ، الذائد عن حياضها حتى تعرض لما تعرض له من أقوال ذوى النظر القصير ، وآراء ذوى العقل الكليل ، ورمى بما لا يصح أن يرمى به الأستاذ العقاد

فإذا كان الأستاذ العقاد يكتب اليوم عن الديمقراطية فى الإسلام فقد كتب من قبل عن « الحكم المطلق » منددا به ، ولعل حبه للديمقراطية وكراهيته للاستبداد حدا بأستاذنا الكبير أن يكتب عن هتلر فى كتابه « هتلر فى الميزان » وإن حيك حول هذا الكتاب من أباطيل لا تدل إلا على سخف فى التفكير وفساد فى الضمير

وكتاب « الديمقراطية فى الإسلام » يقع فى ثمان وسبعين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، قامت بنشره دار المعارف .

والمسحة الغالبة فى هذا الكتاب هى تلك المسحة التى يمتاز بها الأستاذ العقاد فى كل ما يكتب ، وأعنى بها الثقة الواعية المتثبتة التي تدعوه أن يقرر ما يقرر فى غير ما شك أو تردد . وشئ آخر يجده المتتبع لكتب العقاد أن أسلوبه مهما طال الكتاب أو قصر فى مستوى واحد من البيان

وما أجل ما دفع الأستاذ الكبير إلى كتابة هذا البحث القيم « فإن الأمم الإسلامية فى عصرنا تنهض وتتقدم ، وأنها أحوج ما تكون فى هذه المرحلة خاصة إلى الحرية والإيمان متفقين ، لأن الحرية بغير إيمان حركة آلية حيوانية أقرب إلى الفوضى والهياج منها إلى الجهد الصالح ، والعمل المسدد إلى غايته ، ومن الخير أن تذكر الأمم الإسلامية على الدوام أن الحرية عندها إيمان صادق ، وليست غاية الأمر فيها أنها مصلحة ونظام مستعار (١) »

ثم ينتقل الأستاذ بالقارئ من فصل إلى فصل تنقل الخبير

(١) ص ٧ من الديمقراطية فى الاسلام

بالمسالك والدروب دون أن يشعر بيأس أو نفور ، ولا يسع القارئ إلا أن يمضى قدما فى القراءة حتى يصل إلى الخاتمة

ولا يسعنى فى هذا المقابل إلا أن أشير على أولئك الذين ينفثون سموم المبادئ الهدامة بين الطبقات الجاهلة ، أولئك البهلوانات التى تنطق ولا تعرف ما تقول .. أن يقرءوا ويتدبروا الفصل القيم الخاص بالديمقراطية الاقتصادية ؛ ومن الخير أن يقرأ أولئك المتعصبون على الإسلام والمسلمين ذلك الفصل النفيس « مع الأجانب » ليعرفوا مدى تسامح الإسلام والمسلمين مع الأجانب .. ولن يقرأ أولئك المتعصبون ذلك الفصل إلا إذا ترجم الكتاب إلى الأوربية ، ولعل الحاذقين لهذه اللغات ينهضون بهذا العمل الجليل ، ولن أنسى ذلك الفصل الممتع « أقوال المفكرين الإسلاميين » وفيه عرض واضح على الإمامة والسياسة فى الإسلام، إلا أن لى ملاحظة واحدة، وهى أن أستاذنا الكبير أتى بجزء من وصية الإمام على بن أبى طالب لمالك بن الحارث الأشتر النخعى حين ولاه مصر ، وهذه الوصية منسوبة إلى الإمام على فيما نسب إليه . نعم ، إن الوصية ليست من كلام الإمام على ، وإنما هى بكلام العباسيين أشبه ، لأن الكتابة المطولة لم تكن معروفة فى العصر الأول من الإسلام ولم تكن لدى الإمام على سعة الوقت وهدوء البال ليكتب هذا العهد المسرف فى الطول ، وما كان أجدر أستاذنا الكبير أن يحقق هذه المسألة وهو على ذلك قدير إن أراد

على أن مثل هذه المسألة التى تدل على وجهة نظر خاصة بى ، لا يمكن أن تقلل من قيمة هذا الكتاب القيم على ما به من أخطاء مطبعية يقع اللوم كله فيها على عاتق دار المعارف التى عودتنا أن نرى مطبوعاتها فى حلل قشيبة من الطبع الأنيق الصحيح

ولن أضع القلم قبل أن أرفع إلى أستاذنا العقاد تحية ملؤها الإكبار والإجلال ، داعيا الله أن ينسئ فى عمره ليمد المكتبة العربية بنفائس الكتب وفرائد المؤلفات

عبد الرازق عبد ربه

خواطر « فى فن الأدب »

تأليف الدكتور توفيق الحكيم بك

للأستاذ اسماعيل كوكب

فى الأمثلة الجارية : الكتاب يقرأ من عنوانه : يقال هذا فى المقابلات وفى المعاملات وفى ظواهر الأشياء . . وعلى ضوئه احتلت الدعابات صدارة الحكم الابتدائى فى الرئيات : وسار النظار والمحكمون والنقاد على سنن الدعابات حتى النهاية، فمن وجدها سراباً لعن الدعابات المترضة وطالب بتغيير المسميات أوتعديلها ، ومن وجدها نبعاً لا سراباً استنبط منها زاد المعرفة وأضاف إلى دعاية الأرض دعوة السماء « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

عندما بدأت فى قراءة « كتاب فن الأدب » لاح أمامى عنوانه الدخيل على القدامى وقراء الأدب ، وعادت بى الذكريات إلى المساجلات بين نقاد الحكيم وعشاقه ، وتذكرت صديقى الذى جن بأسلوبه كما جن « قيس بحب ليلى »

وقد استقبلت هذا الكتاب بتلك الخواطر فما كدت أرى دقة معانيه البارزة فى ربط ماضى الأدب بحاضره ومستقبله ، وقوة تعبيره فى مزج غربيه بشرقيه وسلامة خياله فى إدماج القصة بالتصوير ، وسرعة الخاطر فى مسايرة المسرح والإذاعة والسينما ، حتى كون إرهاصاً فى ربط مستحدثات الأدب بمناهل لغة الضاد بعد أن سبكها بالفارسية ومزجهما بتلبد الأدب فى الجاهلية وبعد الفتوح الإسلامية تدرج من أدب القفرة إلى أدب الواحة إلى أدب المدينة، ومن أدب الثابة إلى أدب الحانة، ومن أدب الدف والمزمار إلى أدب النوتة والأوتار، بعد أن سار فى أسواق عكاظ ونقل من محاسن باريس وبغداد خلاصة تأملاته بين الدائن والقفار

بعد هذا كاد أن يدركني جنون صديق في كتاب الحكيم الجديد وعجبت من التسمية التي لا تقرأ في عنوان الكتاب.. فإن الفن الذي يقصده بموازينه وأصوله التي تفرع منها المسميات الجديدة للسينما وغيرها ليست كافية وليست أصيلة في التسمية بعد أن جمله جامعة عامة لفن الأدب ولغيرفنه، ولذلك فإني أخالفه في التسمية كما أخالفه في بعض الآراء والنظريات، تاركا الحكم فيها للمحكمين من الأدباء وتقديرها للرأي العام بعد هذا

أوجه الخلاف : في صفحة ٨ تحليل دقيق للابتكار الأدبي استشهد فيه بشكسبير وما نقله عن بوكاشيو وغيره من علماء الغرب : ولم أر استشهاداً لعالم شرقي « وما أكثرهم في هذا العصر » فهل عزت الفاضلة أم لم ينقل متقدم من متأخر ما يستحق التسجيل : أم شيء آخر ؟ وفي صفحة ١٤ مزج للبلاغة والنقد لم أقتنع بأسبابه ، فإذا أجازه كان ماجاء بصفحة ١٧ لا يصلح دستوراً انقده الجديد لأنه واحد في جميع العصور .. وفي صفحة ٢٢ مراحل تنقلات الأدب الزمانية والمكانية واستشهادات عربية لم نر للأئمة الشرقيين المعاصرين من استشهادات أو عرض حتى للضروري من مستلزمات هذا التحول . وفي صفحة ٢٤ قال « إن الأدب العربي لم ير في القرآن إلا نموذجاً لغويا ولم ير فيه النموذج الفني » فهل القرآن الذي لم يفرط في الكتاب من شيء قد أغفل هذا المستحدث الجديد.. أم عقلية معاصريه لم ترق في ذلك الحين إلى تذوق معانيه ولم يتدارك أحد هذا النقص إلى اليوم : أم هناك تقصير من المعاصرين وهم الذين نزل بلغتهم القرآن اقتضته كراهيتهم لصاحب الرسالة في بدئها فأوجبت هذا الإهمال الجسيم الذي ظل عالقا إلى الآن : أم كما قال المؤلف « إن وحي الأدب العربي لم يرد أن يتحرك لا إلى أعلى ولا إلى أسفل لا نحو القرآن ولا نحو الشعب حتى تدارك الجاحظ هذا النقص فساير الشعب فاستحق اللوم لركاكة الأسلوب وعاميته « كما صور »

ولم يسعف هذا النقص مقامات الحريري وبديع الزمان من حيث اللغة والفن لسجعها وبلاغتها المصطنعة. وفي صفحة ١١٩ مقارنات بين حقوق المرأة الغربية والشرقية وعدم تمتع الغربية بحقوقها السماوية وتمتعها ببعض الحقوق الوضعية التي لا فائدة فيها في غير النظر ، وتمتع الشرقية بواجبات تتمنى الغربية أن تصل إليها، وهاتان مشكلتان تتطلب كل واحدة منهما البحث والإفصاح وفي صفحة ١١٢ عرض لكساد أسواق الشعر والأسباب وقد ذكر العلاج الانجليزي لهذا التدهور ولم يأت بجديد في الأدب العربي . وفي صفحة ١٨٧ إشادة بأثر الشعر الردىء في السينما ولم نر الأراجيز المحلية والأغاني البلدية في غير أسواق بعض العوام، أما القيم المعنوية والفنية فأثرها شائع بين العامة والخاصة

وبالنظر إلى كل باب من أبواب هذا السفر الجديد ترى فيه مدرسة قائمة في أسلوبها ومعانيها وتوجيهاتها ، فإذا جاز للعربية في تحولها الأدبي والفني وفي مستقبلها أن نضع فوق هامتها كتاباً نسجله للأجيال القادمة في سجلات الخلود ، فإن كتاب جامعة الأدب « لا فن الأدب » في نظري هو كتاب الجيل

اسماعيل كوكب

البريد الأدبي

تهاجي الشعراء

قرأت فى العدد « ٩٨١ » من الرسالة الغراء مقالة المرحوم صديقنا الدكتور زكى مبارك « البلبل الذبيح » التى كتبها فى رثاء زميله الشاعر الخالد المرحوم الأستاذ على محمود طه ، فاستوقفتنى العبارات التالية منها :

كان الشاعر على محمود طه يكره الشاعر محمد الهراوى ، وكانت بينهما مهاجاة تذكر بالمهاجاة بين عبد اللطيف النشار وعثمان حلمى وهما شاعرا الإسكندرية

إن المهاجاة كانت أيضا تحصل بين المرحومين الرصافى والزهاوى ، تحدث فى بعض الأحايين حتى تصل إلى الخصومة والقطيعة ، ومما حدث بينهما أنه بعد هجرة الرصافى إلى سورية ورجوعه إلى بغداد أقام له المعجبون بشاعريته حفلة تكريمية ألقى فيها قصيدته المشهورة ومطلعها

مر فى حياتك سير نابه ولم الزمان ولا تحابه

ومنها هذه الأبيات الرائعة :

كم مدع وطنية من لم تكن مرت ببابه

فتراه يدفع لاعباً فيها وينفخ فى جرابه

ليكون مكتسباً بها مالا تهالك فى اكتسابه

فكأنما هو صائد وكأنما هى من كلابه

أما الزهاوى وكان أحد المشاركين فى هذه الحفلة فاستقبل الرصافى بقصيدة ختمها بقوله :

« وهذا أخى « معروف » أشدد به أزرى »

فقال الرصافى لم يشأ إلا أن جعل نفسه « موسى » وجعلنى « هارون » ثم أخفاها فى نفسه ، حتى إذا ما قدم بغداد الزهاوى بعد مكوثه مدة فى مصر أقيمت له حفلة تكريمية استهلها الرصافى بأبيات فى تكريم الزهاوى منها :

أرى بغداد من بعد اغبرار زهت بقدوم شاعرها الزهاوى

فعندما وصل إلى هذا البيت التفت الزهاوى إلى خاصة الرصافى وقال لهم :

هذا واجب عليه لأنى بحق شاعر بغداد وكأنما أنا أعنيه فى قولى :

قد تسقط النخلة العيطاء لى رطبا فقد رميت على هشكولها حجرا

وعندما سمع الرصافى ذلك أجاب :

لقد أنصف الزهاوى نفسه ، جعل نفسه طفلا وأنا سامق كالنخل « وكل إناء بالذى فيه ينضح »

ومن ذلك اليوم انقطع الزهاوى من لقاء الرصافى والكلام معه . حتى فارقا الحياة . فبدد الموت ما علق بقلبيهما من أحقاد

رواية بيت

فى العدد ٩٨١ روت الأستاذة زينب الحكيم بيت أبى نواس على الوجه التالى عند تأبينها المرحوم الدكتور زكى مبارك

لا أذود الطير من شجر ذقت طعم المر من ثمره

والذى أعرفه كما هو فى الديوان على الصورة الآتية

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

إلى هنا ولعل « بلوت » أقرب لألفاظ النواسى من ذقت الطعم

عبد القادر رشيد الناصرى

إلى الأستاذ العجمى

قرأت بإعجاب — فى العدد الأخير من مجلة الرسالة — البحث القيم الذى تؤرخ فيه لشعراء الشباب المعاصرين فى مصر ، وتزنهم بميزان النقد الفنى الأدبى ، وتضع فيه لكل مدرسة من مدارس الشعراء منهجا واضحا محددا ، وتلك روح طيبة تتسم بالجرأة والصراحة فى الحق لا أشك فى أنها أساس يقوم عليها النقد الأدبى فى كل جيل

غير أنى آخذ على الأستاذ بعد أن وقف موقف الحدو الشباء من دار العلوم لما أنجبت للنهضة الأدبية الشعرية من شعراء يوم أن كانت مدرسة ، آخذ عليه أنه ألقى الكلام جزافا حين أنحى باللائمة على دار العلوم وخريجيها بعد أن أصبحت كلية يكفى المتخرج منها أن يصيح أمام مفتش اللغة العربية : « أنا من حملة الليسانس » !

ولا أكتب تعقيبى هذا لأنى طالب فى دار العلوم فحسب ،

أدافع عنها ؛ ولكن لأن الواقع والحقيقة يقرران عكس ماذهبتم إليه ، إذ ليس السبب فى أن دار العلوم خرجت من شعراء أفذاذ لأنها كانت مدرسة ، وتخلفت عن الركب – كما تدعى – لأنها أصبحت كلية جامعية ، فدار العلوم كانت وما تزال إلى اليوم تحمل لواء نهضة أدبية مستقلة متميزة فى طابعها العام عن سواها

ولا أحسب الأستاذ – وهو شاعر مجدد – يتناسى أن للشاعر وطنا خاصا يعيش فيه ، ومصادر إلهام يستقى منها ، بعيدة كل البعد عن المعهد أو المدرسة التى تلقى فيها العلم . ولا أحسبه إلا مؤمنا بأن السبب فى شاعرية الشاعر ليس وقفا على أنه من دار العلوم أو من الآداب أو الأزهر ، فذلك – على ما أعتقد – ما لا أثر فيه لشعر شاعر ، وإلا فما هى الدراسات الأدبية التى تدرس فى كلية الهندسة التى ينتسب إليها المرحوم الشاعر على محمود طه ؟ وهل تخرج شوقى أمير شعراء عصره من الأزهر أو دار العلوم أو الآداب ؟

ولو أن الصحافة الأدبية أفسحت صدرها لكثير من طلبة دار العلوم وخريجيها فى عهدها الحديث ، لشهد الأستاذ أن فى كلية دار العلوم نهضة أدبية لا تنكر ، وشعراء مجددين يسيرون فى الموكب جنبا إلى جنب مع طليعة شعراء مصر المعاصرين .

هذا ولا يمنعنى ذلك من إزجاء الشكر خالصا على بحثكم القيم

محمود محمد سالم

استدراك

سقطت جملة من المقال المنشور فى العدد السابق من الرسالة بعنوان « شخصية » جعلت الجملة مضطربة والمعنى غير واضح. وسأتدارك هذا البتر الذى أظن أنه كان مقصودا فى كتابى المعد للطبع

كذلك وردت كلمة « يضطلع فى السطر الأخير من المقال وصحتها « يطلع » فتكون الجملة هكذا « ومن سخرية القدر أن يصبح حسل أفندى نائبا من الأمة يطلع فى أحد المجالس ...

حبيب الزحلاوى

دعونا من هذه المهزلة

إنى أعتبر مجرد الحديث عن المرأة وحقوقها السياسية مهزلة يجب أن يوضع لها حد ، كما أعتبر محاولة شغل الرأى العام بهذه المهزلة جريمة لا تغتفر فى حق وطننا المنكوب .. فهل انتهت مصر بعد من تحقيق أعز أمانيها : الجلاء الخالص والوحدة الصادقة ، حتى نشغل أنفسنا بحقوق المرأة السياسية ، وتفسح صحافتنا السيارة – باستثناء الرسالة المحترمة – صدرها لمبارزة الفريقين المؤيد والمناهض ، فتشمل بذلك معركة صاخبة يتلاشى فى صخبها أعز الأمانى وأطيب الآمال ؟

إن المستعمر الغاصب بخير ما دام الرأى العام فى مصر مصروفا عما يزلزل أقدامه ويقلق كيانه ، ومشغولا بالجدل الممل المتعب فى سفساف الأمور ، وصغار القضايا ، وتوافه المسائل .

إننا نريد أولا تحقيق الجلاء التام الناجز عن وادى النيل حتى تطهر أرضه من رجس الاحتلال البغيض ، وتحقيق الوحدة لشعبه حتى تعتمد على دعائم من الحق والقوة ، والحرية والأخوة ، وبعد تحقيق هاتين الأمنيتين تحقيقا صادقا لا زيف فيه ولا التواء ، يجوز لنا أن نبحث ونجادل فى مسألة حقوق المرأة السياسية وغيرها مادام فى ذلك خير يعود على الوطن العزيز

إن من الحزم والإخلاص لوطننا أن نترك هذه الأمور اليوم ، حتى ننتهى مما هو أهم وأحق ، ويجب أن نفهم أن الرأى العام العربى يسخر اليوم منا ، لأننا نسخر همنا فى توافه الأمور التى يمكن أن نستغنى عنها قليلا ، تاركين المهام التى تصون عزتنا ، وتحوط كرامتنا بالمهابة والإجلال ، وتسبغ على وجودنا وكياننا جوا من العظمة والتقدير !

فتى يفهم هذا جيدا أشياع الفريقين المتناضلين ؟ متى يتقون الله فى دينهم ووطنهم ؟

نفيسة عبد اللطيف الشيخ



ثروة لم تخطر على بال

للقصصي الإيطالي بوكاتشو

لقد أجمعت الآراء على أن البلاد الواقعة على شاطئ البحر من ريجيو إلى جايتى هي أجمل البلاد موقعا في إيطاليا . وهناك على مقربة من سالرن عراء تطلق عليه الأهالي اسم شاطئ ملفي، به مدن صغيرة وحدائق ، وكانت مدينة رافللو في ذلك العهد أبرزها رشاقة وازدهاراً ، وكان بها رجل يسمى لاندولف من كبار الأغنياء ولكن نهم المال لا يشبع ولا يقنع ، إذ أراد هذا الرجل أن ينمي ثروته فقضى طمعه على جميع ما ملكت يداه

وبعد ما فكر في الأمر طويلا كعادة التجار اشترى سفينة عظيمة وشحنها بمختلف البضائع وسافر إلى قبرص . وحينما وصل إليها وجد كثيراً من السفن مشحونة بنفس البضائع التي جلبها فاضطر أن يبيع شحنته بأبخس الأثمان ؛ فتملكه هم شديد لهذه الخسارة الفادحة التي ذهبت بغناه ، وصمم على الانتحار أو الاستعاضة عما فقده بواسطة شخص آخر، فلا يرجع إلى بلده على تلك الحال بعد أن خرج منها غنيا محترماً . وباع سفينته واشترى بثمنها والمبلغ الضئيل الذي باع به بضائعه مركبا خفيفاً يصلح لأعمال القرصنة وسلحه جيداً واختار له بعض الرجال الأشداء وطفق يجوب البحار ويسطو على كل من يصيبه ولاسيما الأتراك حتى زادت ثروته وفاقت ما كان يملكه وقت ازدهار أمواله

رأى أن غناه أصبح كافيا وأنه في حاجة إلى عيش شريف محبوب لا يحتاج إلى تعرض جديد للبؤس وتقلبات الأيام . وعزم على الرجوع إلى بلده والاكتفاء بما غنمه لأن ما حاق به من صروف الدهر جعله يخشى العودة إلى أعماله السابقة . فسافر إلى رافللو بهذا المركب الخفيف، ولما ابتعد عن الشاطئ هبت رياح عنيفة فهاجت الأمواج ورأى لاندولف أن سفينته الصغيرة لا تستطيع مقاومة اللجج المائجة فعزم على الالتجاء إلى جزيرة صغيرة ، وبعد لحظة أقبلت سفينتان جنويتان لتحتميا في هذا الموضع من الجزيرة وكانتا آتيتين من الآستانة . وقد علم الركاب أن هذه السفينة الصغيرة يملكها لاندولف وكانوا يسمعون أنه من الأغنياء المولعين بالذهب والسطو على مال الغير ، فاتفقوا على مهاجمته وسدوا عليه المسالك أولا ثم أنزلوا عددا من رجالهم إلى البر وبأيديهم قسيهم وسهامهم وتخيروا لهم مكانا يمكنهم من إصابة كل من يخرج من السفينة . ثم هب الباقي إلى القوارب وذهبوا إلى سفينة لاندولف وأسروها بدون مقاومة ثم نهبوا جميع ما فيها وأغرقوها واعتقلوا لاندولف في قاع مركب من مراكبهم ولم يتركوا عليه غير بعض ثياب خلقة . وفي الصباح تحسن الجو فسافر الجنويون إلى بوتان وسارت مراكبهم بكل اطمئنان طول النهار . وحينما أقبل الليل هاجت رياح عنيفة ، واضطرب اليم فانفصل المركبان بعضهما عن بعض وارتطم أحدهما الذي يقل لاندولف في صخور جزيرة سيفالوني فتحطم كالزجاجة وافترس اليم مختلف البضائع والصناديق وحطام السفن ، وطفق الملاحون يسبحون ويجالدون اللجج المائجة في الظلام الحالك ويتمسكون بكل ما يصادفهم لينجوا بأنفسهم

وأما لاندولف التعس الذي كان بالأمس يتمنى الموت لفقد ثروته فقد تملكه الخوف حينما رأى نفسه مشرفا على الهلاك ، ولحسن حظه صادف لوحاً من الخشب فتمسك به إلى أن ييسر الله له من ينتشله من الخطر

ظلت الأمواج تتقاذفه ذات اليمين وذات اليسار إلى أن طلع النهار فنظر إلى ما حوله فرأى صندوقاً صغيرا عائما فحاول الوصول إليه ولكن هبت زوبعة ضاعفت عنف الأمواج وقذفت الصندوق حتى اصطدم باللوح الذي بين يدى الغريق فأفلت من يده وغاص لاندولف من قوة الصدمة ، ثم طفا وشاهد اللوح بعيداً عنه ولكنه لمح الصندوق على مقربة منه فسبح حتى أمسك به وامتد

على غطائه ، وطفق يستعمل ذراعيه بدلا من المجاذيف ، وأخذت تطوح به اللجج في كل صوب دون طعام ، وقضى نهاره وليله على تلك الحال المضنية دون أن يعرف إن كان قريبا أو بعيدا عن البر لأنه ما كان يرى غير الماء والسماء ...

وفي الغد طوحت به الرياح أو على الأصح إرادة الله السامية إلى جزيرة جولف ، وأصبح جسمه كالإسفنج وهو منكمش على الصندوق كما يفعل الغرقى عند إشرافهم على الهلاك

وكانت في تلك الساعة امرأة فقيرة تغسل آنيتها على الشاطئ فذعرت لرؤيته على تلك الحال وصرخت صراخاً عنيفاً . وكان لاندواف منهوك القوى حتى أنه لم يستطع النطق بكلمة . ولما اقترب الصندوق من الشاطئ وتأملت فيه المرأة ميزت شكل الصندوق ولمحت وجه الغريق فتأثرت بعاطفة الشفقة والحنان ونزلت بقرب الشاطئ وكان البحر هادئا وأمسكت لاندواف من شعر رأسه وجرته هو والصندوق إلى الشاطئ ونزعت يديه المتشنجتين من الصندوق بقوة ثم وضعت الصندوق على رأس فتاة كانت معها ثم حملت لاندواف على ظهرها كالطفل وذهبت به إلى المدينة ثم أدخلته في حمام حار وغسلته ودلكته بالماء الساخن إلى أن أفاق وتحرك ، وبعد إخراجه من الحمام سقته نبيذاً وأطعمته قليلا من المربى حتى انتعش وعاد إليه رشده . رأت هذه السيدة أن ترد إليه صندوقه وأن تشجعه على ما أصابه من المحن

لم يفكر لاندواف قط في الصندوق إلا أنه ظن أن يجد فيه شيئا يستعين به على القوت بضعة أيام . ولما أراد أن يفتحه وجده خفيفا جدا فتملكه اليأس والقنوط ، ثم فتحه بفارغ الصبر تطلعا لما يحتويه ، وكانت السيدة قد غادرت بيتها لقضاء حاجاتها ، فوجد فيه كمية من الأحجار الكريمة بعضها مصقول والآخر كما هو . ولسابق معرفته بالجواهر تحقق أنها ذات قيمة كبيرة ، حمد ربه على هذه النعمة العظيمة ومجده ، لأنه قد حرسه بعين عنايته وعوضه أضعاف ما فقد . وتشجع ونشط ونسي همومه ، وعزم على أن يتصرف بكل رزانة وحكمة ليصل إلى بيته آمنا مطمئنا ولا يكون عرضة لمصاب جديد أو محنة غير منتظرة . ثم صر جواهره في قطعة من النسيج وعرض على السيدة أن تأخذ الصندوق مقابل كيس ، فلبت طلبه ثم شكر لها حسن صنيعها ووضع كيسه على كتفه وسافر في مركب . ولما وصل إلى برنديزي انتقل إلى تراني وصادف هناك عدة رجال من بلده وكانوا من تجار القز والديباج فقص عليهم ما أصابه ، ولكنه لم يبح لهم بالصندوق وما حواه فأعطوه حلة وأعاروه جواداً وبحثوا له عن رفقاء يصحبونه في سفره إلى رافللو

ولما آب إلى بلده عاين جواهره فوجد فيها كثيرا من الماس الجيد بحيث انها إذا بيعت بثمن معقول كانت قيمتها تساوي ضعف ثروته حينما فارق بلده . ثم أرسل مبلغا من المال إلى السيدة التي انتشلته من اليم في مدينة جولف وكافأ تجار الحرير الذين ساعدوه في تراني وعاش بقية عمره عيشة هنيئة شريفة

م ح

مطبعة الرسالة